



مجلة فصلية تصدر عن  
رابطة العالم الإسلامي  
العدد 63 (الثالث والستون)  
محرم 1445هـ - أغسطس 2023م

# الاعجاز العلمي



التفسير العلمي  
للإهلاك بالمسيحة



الخشوع والتصدع في الجبال  
معانٍ علمية وإحياءات قرآنية



الحطام والهشيم  
في عالم النبات



أثر الحقائق العلمية  
في الترجيح بين أقوال المفسرين



## إعصار فيه نار

حقائق جديدة تشهد  
بصدق القرآن الكريم

معجزة الإخبار عن

# عدد مفاصل الإنسان



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى  
سِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةَ مَفْصَلٍ...) (صحيح مسلم).

\* توصل علماء التشريح - باستخدام جهاز  
الرنين المغناطيسي MRI المكتشف  
حديثاً - إلى أن عدد مفاصل الإنسان  
هو ثلاثمائة وستين مفصلاً.

\* سبقت السنة النبوية إلى كشف هذه  
الحقيقة العلمية قبل أربعة عشر قرناً  
من الزمن.

### زراعة القرنية والخلايا الجذعية

إن من أهم الفتوحات العلمية الطبية الكبيرة التي فتح الله بها على الإنسان في العصر الحديث هي: زراعة الأعضاء، بدءاً من القرنية وانتهاءً بالقلب والرئتين، مروراً بالكلى وزراعة الخلايا الجذعية، وبعض حالات إصابات الحبل الشوكي، والمحاولات الجادة لإنتاج الأنسولين من الخلايا الجذعية والتي لم يشأ الله أن تتم إلى الآن، ولكن الأبحاث جارية بصورة تنافسية بين معاملي الخلايا الجذعية، وسيفرح العالم يوماً ما خاصة مرضى السكر بزراعة الخلايا الجذعية في البنكرياس بإذن الله تعالى.

إن الخلايا الجذعية أصبحت اليوم مصدراً علاجياً واعداً، مع ما تم إثباته والتحقق منه ومن تطبيقاته العلاجية، وحتى يتم الاستفادة من الخلايا الجذعية في العلاج فإن ذلك يقتضي تعاوناً كبيراً بين الباحثين البيولوجيين المتخصصين في الخلايا الجذعية والأطباء، وتعتبر الخلايا الجذعية أحد المجالات العلاجية الهامة ومحاولات الاستفادة منها في زراعة الخلايا الجذعية لأمراض العيون على اختلاف أنسجتها وتنوع أسباب تلفها، ومن المعروف علاجياً أن زراعة القرنية تعتبر أمراً يسيراً في حالة توفر القرنية من متبرع متوفى (ففي أمريكا مثلاً تتوفر قرنيات المتبرعين على نطاق واسع، لذلك لا يضطر المرضى عادة إلى الانتظار طويلاً للحصول على قرنية، بينما الأمر عندنا عكس ذلك، وأتمنى أن تتوسع دائرة التبرع بالأعضاء ليكون لها فروع في جميع أنحاء المملكة، أو على الأقل في المناطق الكبيرة، مثل منطقة مكة المكرمة، وأن يكون في مدينة جدة على الأقل بنك للأعضاء).

ومن الأمور الميسرة لتطبيق زراعة القرنية أنها لا تحتاج إلى أدوية مثبطة للمناعة كما في حالة بقية زراعة الأعضاء، ولا يشترط أن يكون هناك توافق نسيجي ١٠٠٪ بين المتبرع والمستقبل كما في حالة زراعة الكبد، والكلى، والقلب، وذلك لعدم وجود تروية دموية وإمداد دموي في القرنية، كما أنها تحصل على الأكسجين والمواد الغذائية الأخرى من الأنسجة والسوائل القريبة، وتعتمد العين كبقية أنسجة الجسم على الإنتاج الجديد للخلايا للتعويض عن الخلايا القديمة والتالفة، ويحدث مثل هذا الإنتاج من الخلايا في موضع التقاء القرنية بالملتحمة، وهو ما يسمى بالحواف (Limbus)، فعند إصابة هذه المنطقة بالتلف تعجز عن إنتاج خلايا جديدة كافية للحفاظ على القرنية، وهنا يمكن زراعة الخلايا الجذعية عن طريق جراح ماهر، فيتمكن من نقل وزراعة الخلايا الجذعية، لكن يبقى السؤال ما هو مصدر هذه الخلايا الجذعية؟ لا شك أن الأفضل أن يكون المصدر الأول من العين السليمة للمريض نفسه كما أخبرني بذلك الدكتور. محمود شويل، عند زيارته لي في مركز الملك فهد للبحوث الطبية، لكن مع أخذ الحرص الكامل والاحتياط ما أمكن على أخذ جزء بسيط جداً من تلك الخلايا الموجودة في العين السليمة، ومن ثم توزيعها على جوانب القرنية عند زراعتها في العين الأخرى المصابة وكون مصدر الخلايا الجذعية من نفس المريض، فإنها لا تواجه بالرفض أو الحاجة إلى استخدام أدوية مثبطة للمناعة، والمصدر الثاني لزراعة الخلايا الجذعية هو: أن يكون من متبرع، وفي هذه الحالة يتم تجنب الرفض ما أمكن للزراعة باستخدام المثبطات المناعية.

والدكتور. محمود شويل أستاذ في قسم العيون بجامعة الملك عبد العزيز هو أول سعودي أجرى عملية زراعة القرنية بالإضافة إلى زراعة ما حولها من خلايا جذعية مأخوذة من نفس عين المريض، وقد تحقق بفضل الله على يديه نجاح عملية لطفلة في سن الرابعة من عمرها، وهناك اتجاه آخر للحصول على الخلايا الجذعية وهو تكثير هذه الخلايا من خلال زراعتها في المعمل لنفس المريض، أو من متبرع تتم دراسة الناحية المناعية له، ومن ثم زراعتها بعد تكثيرها معملياً، ولعمل ذلك يتم التعاون بين متخصصي زراعة الخلايا الجذعية من البيولوجيين وبين أطباء زراعة القرنية، وهذا التعاون البحثي هو ما أشرت إليه وما يحتاجه ليس أطباء العيون فقط وإنما يعتمد عليه مستقبل زراعة الخلايا الجذعية، واستخدامها في علاج الأمراض حيث يمكن التمكن من خلالها من إعادة برمجة الخلايا الجذعية وفق ما يحتاجه المريض من خلايا خاصة إذا تم أخذ خلايا جذعية من المريض نفسه؛ لذلك يساعد في نجاح زراعة الخلايا الجذعية واستخدامها لعلاج أمراض مختلفة خاصة أمراض سرطان الدم، ومنطقة الحواف لقرنية العين، وأود أن أشير هنا إلى أنه لم يتم إلى الآن نجاح استخدام الخلايا الجذعية على الإطلاق في علاج بقية أمراض العين خاصة الشبكية والعصب البصري، وأما ما يروج له البعض في معالجة كثير من الأمراض بالخلايا الجذعية ليس إلا من باب المتاجرة كما وضحت ذلك في مقال سابق بعنوان «متاجرو الخلايا الجذعية».



أ.د. صالح عبد العزيز الكريم

prof.skarim@gmail.com



أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الزيد  
نائب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

أ. د. محمد بن عبد الكريم العيسى  
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - رئيس هيئة علماء المسلمين

## كلمة التحرير

المجلة على إبرازها، ومن هذه الموضوعات: الخشوع والتصدع في الجبال معانٍ علمية وإحساءات قرآنية، من وجوه الإعجاز التشريعي.. تضامراً أوجه الإلزام في القرآن والسنة، والحطام والهشيم في عالم النبات، وظاهرة إحصار النار، إلى جانب أثر الحقائق العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين نموذجاً تطبيقياً على المقصود بالظلمات الثلاث.

وبما أن المجلة تحرص على تقديم الجديد المتنوع في كل عدد فإنها تنتظر من الباحثين والمهتمين تزويدها بأبحاثهم ومرئياتهم، راجين للجميع التوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله الذي وفقنا إلى مواصلة الجهد والعطاء في إصدار مجلة الإعجاز العلمي وتقديم كل ما هو جديد من حيث تنوع الموضوعات في مجالات متعددة، منها ما هو مرتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالإعجاز العلمي، وبعضها مرتبط بالتفسير العلمي، والبعض الآخر مرتبط بالجوانب العلمية ذات العلاقة.

ومن أهم أهداف مجلة الإعجاز العلمي إثبات أن الإسلام دين علم ومعرفة، وأن كل ما يقدم في هذه المجلة من إنتاج علمي إنما هو للإسهام في الدعوة إلى الإسلام وزيادة اليقين والإيمان وتوثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى.

لذلك يصدر هذا العدد مترجماً لهذه المعاني حاملاً معه الموضوعات المتنوعة التي تحرص



(32-39)



(11-16)



(4-10)

# الإعجاز العلمي

العدد 63 - محرم 1445 هـ - أغسطس 2023 م

رئيس التحرير

أ. د. صالح بن عبد العزيز الكريّم

نائب رئيس التحرير

د. عبد الجواد بن محمد الصاوي

مستشارو المجلة

أ. د. سعود بن إبراهيم الشريم

أ. د. زهير بن أحمد السباعي

أ. د. محمد بن علي البار

د. عثمان أبو زيد عثمان

يتم إرسال كافة المشاركات والمقترحات  
والملاحظات باسم رئيس التحرير  
mag.eajaz@themwlx.org

مسؤول الاشتراكات والتوزيع

جوال 00966595401714

المملكة العربية السعودية- مكة المكرمة

ص.ب: 5736 الرمز البريدي 21955

هاتف: 00966122525522

www.themwlx.org

المدير العام للإدارة العامة للإنتاج الإعلامي

محمد بن عائض الجعيد

التصميم والإخراج

علي رمضان الحداد

الطباعة

شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر

أ. عبد الرحمن بن عمر بفلح  
وكيل خدمة الكتاب والسنة

أ.عبد الوهاب بن محمد الشهري  
مساعد الأمين العام للاتصال المؤسسي

## المحتويات

- 4 - 10 الخشوع والتصدع في الجبال  
معان علمية وإيحاءات قرآنية
- 11 - 16 التفسير العلمي للإهلاك بالصيحة
- 17 - 28 من وجوه الإعجاز التشريعي  
تصافر أوجه الإلزام في القرآن والسنة
- 29 - 31 اللغة الخالدة
- 32 - 39 الحطام والهشيم في عالم النبات
- 40 - 48 ظاهرة إعصار النار
- 49 - 56 زيادة مجلة الإعجاز العلمي في نشر العديد  
من الأبحاث المتعلقة بالأوبئة والفيروسات
- 57 - 64 أثر الحقائق العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين  
نموذج تطبيقي على المقصود بالظلمات الثلاث



( 64-57 )



( 48-40 )

- طريقة** • تدفع القيمة بحوالة بنكية باسم مجلة الإعجاز العلمي لدى البنك الأهلي التجاري حساب رقم: SA7510000000155055000109
- الاشتراك** • إرسال صورة من إيصال الإيداع على البريد الإلكتروني mag@eajaz.org
- في المجلة** • تعبئة البيانات الشخصية: الاسم الثلاثي . رقم الجوال . رقم الهاتف . البريد الإلكتروني
- في مصر للاتصال على هاتف: 022711135

# الخشوع والتصدع في الجبال

## معانٍ علمية وإحياءاتٍ قرآنية

أ.د. خلاف الغالبي

شعبة الجغرافيا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
جامعة محمد الأول - وجدة - المملكة المغربية.

وهذا يفيد أن إنزال القرآن على الجبل ملزم لخشوعه وتصدعه، لكن العكس غير لازم مطلقاً، فيكون بذلك خشوع الجبال وتصدعها ثابتاً لثبوت سبب آخر للخشية من الله.

وفي ثانياً هذا البحث يبين لهذه الحقيقة العلمية التي توافقت مع النص القرآني الكريم.

أثبتت الدراسات العلمية الحديثة لعلم الجيولوجيا أن الانضغاطات التي تحدث في الجبال تؤدي إلى إحداث تصدعات وتشوهات فيها، ولم يكن بمقدور بشر في زمن التنزيل معرفة كيفية خشوع الجبال وتصدعها، إذ أن العملية الواحدة منها تستغرق مئات السنين، غير أن اللفظ القرآني ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا﴾ الحشر: ٢١ فتح الباب لتصوير ذلك بحرف "لو" والذي يفيد إمكانية حدوث ذلك إذا تحقق سببه من خلال عوامل أخرى غير نزول القرآن الكريم على تلك الجبال، كما قرر ذلك علماء اللغة بقولهم:

لو حرف يدل على انتفاء تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه "أي أن جواب "لو" ممتنع لامتناع سببه، وقد يكون ثابتاً لثبوت سبب غيره.



وهذا يفيد أن إنزال القرآن على الجبل ملزم لخشوعه وتصدعه، لكن العكس غير لازم مطلقا، فيكون بذلك خشوع الجبال وتصدعها ثابتا لثبوت سبب آخر.

## معاني علمية من وحي الآية:

بعد هذا المبحث النحوي والذي بينا فيه من الناحية اللغوية إمكانية تحقق الخشوع والتصدع في الجبال، بالرغم من عدم توجيه الخطاب القرآني إليها، سنحاول أن نعرض لبعض المعاني العلمية التي استوحيناها من الآية الكريمة بهذا الخصوص.

### ١- معاني لغوية:

- خاشعا: جاء في لسان العرب (مادة خشع)، الخشوع: الخضوع، والخاشع: الراكع في بعض اللغات، وخشع سنام البعير إذا أنصي فذهب شحمه وتطأطأ شرفه، وجدار خاشع إذا تداعى واستوى مع الأرض. وبالتالي ففي الخشوع (الخضوع، والركوع، والطأطأة...)، حركات تؤدي إلى نوع من الانكماش وتقلص الحجم.

- متصدعا: يقول ابن منظور (مادة صدع): الصدع، الشق في الشيء الصلب، وتصدع القوم، تفرقوا.

### ٢- تراثية الخشوع والتصدع ونتائج التجارب حول مقاومة الصخور للضغط<sup>(٣)</sup>:

إن القرآن الكريم عندما تحدث عن الخشوع والتصدع كأسلوبين وصورتين من صور تمثل خشية الله في الجبال بدأ بالخشوع قبل التصدع فقال عز وجل: ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا﴾ ولم يقل متصدعا خاشعا. فهل هذه التراتبية تشير إلى ترتيب زمني معين؟ أم أنه ترتيب لفظي فقط لا دلالة له ولا إشارة ولا إيجاء؟

(١) عبد الرحمن بن علي بن صالح المَكُودِي (ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٥ م) أبو زيد: عالم بالعربية. نسبته إلى بني مَكُود (قبيلة قرب فاس) مولده ووفاته بفاس.

(٢) أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الملوي المجيري، أبو العباس شهاب الدين، الشافعي الأزهرى شيخ الشيوخ في عصره. مولده ووفاته بالقاهرة ت ١١٨١ هـ

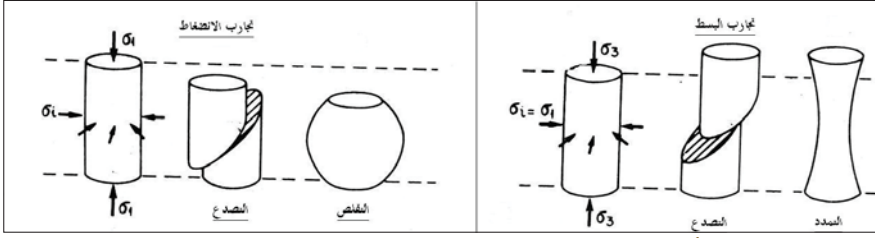
(٣) كل المعلومات والمعطيات العلمية الواردة في هذا المقال مأخوذة عن كتاب "تشوهات مواد القشرة الأرضية"، باللغة الفرنسية، لصاحبه:

Maurice MATTAUER. (انظر لائحة المصادر).

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُتُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ الحشر: ٢١. ومعنى ذلك أن الجبال قد تخشع وتتصدع من خشية الله، لو كان الخطاب القرآني موجها إليها، يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير: "والخطاب في (لرأيته) لغير معين فيعم كل من يسمع هذا الكلام، والرؤية بصرية، وهي منفية لوقوعها جوابا لحرف (لو) الامتناعية". فهل حقيقة أن خشوع الجبال وتصدعها غير واقع لعدم إنزال القرآن عليها؟، بعبارة أخرى، هل انتفاء وقوع فعل الشرط (لو أنزلنا)، يؤدي بالضرورة إلى انتفاء وقوع جواب الشرط (لرأيته)؟

## مفاتيح نحوية:

يقول المكودي<sup>(١)</sup> رحمه الله تعالى شارحا قول ابن مالك في الألفية: (لو حرف شرط في مضي): "يعني أن لو حرف شرط تدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى وتسمى لو هذه امتناعية لأنها تدل في الغالب على امتناع الشيء لامتناع غيره." ويقول ابن عقيل رحمه الله في شرحه: "... وفسرها سيبويه بأنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وفسرها غيره بأنها حرف امتناع لامتناع. وهذه العبارة الأخيرة هي المشهورة، والأولى الأصح." وجاء في حاشية الشيخ أحمد عبد الفتاح الملوي الأزهرى<sup>(٢)</sup> على شرح المكودي: "يقول ابن مالك: حرف يدل على انتفاء تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه." يقول الأشموني في شرحه: إن عبارة سيبويه (حرف لما كان سيقع لوقوع غيره)، إنما تدل على الامتناع الناشئ عن فقد السبب لا على مطلق الامتناع."، ويقول أيضا: إن عبارة ابن مالك (حرف يدل على انتفاء تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه) "أي أن جواب لو ممتنع لامتناع سببه، وقد يكون ثابتا لثبوت سبب غيره."



الشكل ٢ :- تمثيل لنتائج تشوه عينة صخرية خلال تجارب الانضغاط و تجارب البسط (M.Mattauer, 1980)

## ١-٢ العلاقة بين القوى الضاغطة

وتشوهات الصخور انطلاقاً من

التجارب الثلاثية المحاور:

تعتبر التجارب المخبرية السبيل الوحيد

لمعرفة العلاقة الموجودة بين قوى الضغط

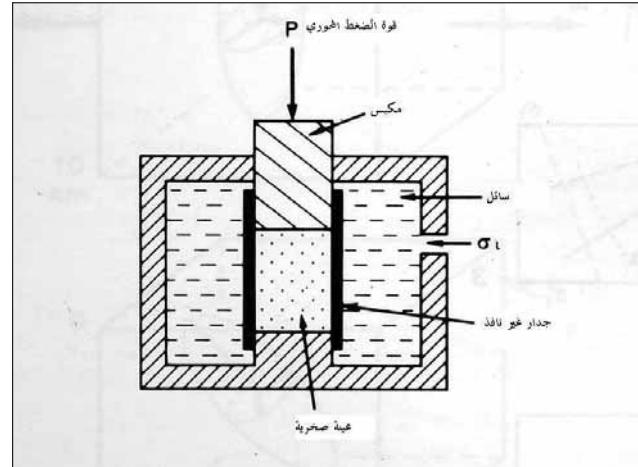
والتشوهات الصخرية الناتجة عنها،

أما ملاحظة التشوهات التي تصيب الصخور داخل القشرة الأرضية، فلا تسعفنا لا في معرفة الظروف التي سادت القشرة الأرضية إبان التشوه، ولا في إعادة تحديد (Reconstitution) المراحل التي مرت منها عملية التشوه. لأن ما نلاحظه في الميدان إنما هو نتيجة نهائية لهذه العملية.

وتمثل التجارب الثلاثية المحاور (Essais Triaxiaux) أهم

التجارب في هذا الإطار.

أ- التجارب المختلفة (الشكل ١):



الشكل ١ :- رسم مبسط لضاغطة ثلاثية المحاور (M.Mattauer, 1980)

يتم وضع عينة صخرية ذات شكل أسطواني داخل "حافطة" (Enceinte) مملوءة بسائل مضغوط، فتكون بذلك العينة الصخرية خاضعة لقوة ضغط هيدروستاتيكي ( $\sigma_i$  Pression Hydrostatique) وحدة قياسها هي ( $\text{Kg/cm}^2$ ). تتم بعد ذلك ممارسة قوة انضغاط محوري (Compression Axiale)، أو قوة جر محوري (Traction Axiale)، على أطراف العينة الصخرية:

- تجارب الانضغاط (Essais en Compression): يتم إخضاع

العينة الصخرية لقوة ضغط محورية P أعلى من قوة الضغط الهيدروستاتيكي ( $\sigma_i$  ( $P > \sigma_i$ )). مع رفع تدريجي لقوة الضغط المحوري P، فتبدأ العينة بالتقلص التدريجي إلى أن تصل قوة الضغط المحوري P قيمة معينة، عندها تنشطر العينة الصخرية (الشكل ٢).

- تجارب الجر (Essais en Traction): في هذه الحالة تكون

قوة الضغط المحوري P سالبة، وتكون أقل من قوة الضغط الهيدروستاتيكي ( $\sigma_i$  ( $P < \sigma_i$ )). ومع الخفض التدريجي لقوة الضغط المحوري P، تبدأ العينة بالتمدد تدريجياً ثم تنشطر (الشكل ٢).

- تجارب البسط (Essais en Extension): في هذه الحالة تكون قوة

الضغط المحوري أقل من قوة الضغط الهيدروستاتيكي ( $\sigma_i$  ( $P < \sigma_i$ )). لكنها تكون موجبة ( $P > 0$ ). أما النتائج فمشابهة بنتائج تجارب الجر. والجدير بالذكر أنه يمكن إجراء هذه التجارب المخبرية تحت ظروف ضغط تتجاوز ١٠ كيلو بار (Kbar) وحرارة تراوح ٨٠٠ درجة مئوية.



الجبال تخشع وتتصدع من خشية الله، لو كان الخطاب القرآني منزلاً عليها.



المجال الأمثل الذي يمكن من خلاله دراسة تشوهات مواد القشرة الأرضية؛ حيث تتعدد التشوهات وتتنوع بشكل يصعب معه حصرها.

ونظراً للتنوع الكبير في البنيات الانضغاطية (Structures de compression)

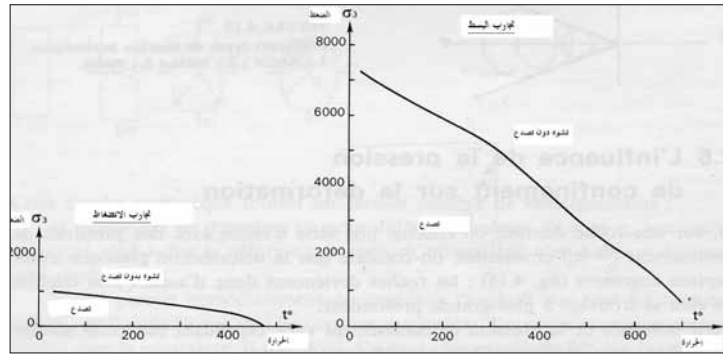
الملاحظة في الجبال - حيث تكونت هذه البنيات في ظروف حرارة وضغط جد متباينة تتراوح ما بين الظروف السائدة قرب سطح الأرض والظروف التي تطبع أعماق القشرة الأرضية، بل أن بعضها يتكرر على فترات زمنية متباعدة، فإن

التشوهات التي تظهر في السلاسل الجبلية تتطلب تقسيم الوحدة الجبلية إلى مجموعة من النطاقات والمجالات تتميز بسيادة قوانين متشابهة وآليات متماثلة، تحكم تشوه الصخور داخل كل مجال. هذه المجالات المترابطة فيما بينها هي ما يصطلح عليه بالمستويات البنائية (Niveaux Structuraux).

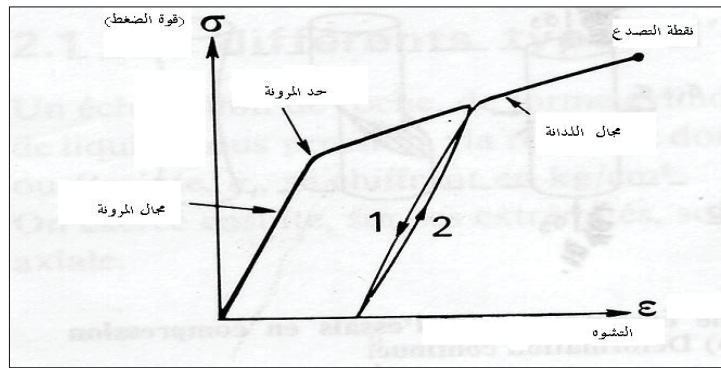
٣-١ آثار الظروف المتغيرة للضغط والحرارة على الصخور المنضغطة :

لقد عرفنا في الفقرة السابقة أن المستوى البنائي مجال يتميز بسيادة نفس آلية التشوه (Mécanisme de déformation)، وهذا يقتضي بالطبع أن نتحدث عن آليات التشوه المختلفة التي تعمل داخل القشرة الأرضية في حالة الانضغاط، وذلك بدراسة آثار الرفع التدريجي للضغط والحرارة على

الصخور المنضغطة. وتظهر نتائج مثل هذه التجارب



الشكل 3 :- توزيع مجالات التشوهات المختلفة في حالي الانضغاط والبسط حسب الحرارة والضغط (M.Mattauer,1980)



الشكل 4 :- منحنى العلاقة بين قوة الضغط والتشوه في حالة جسم مرن-لدن (M.Mattauer,1980)

بتعبير آخر، فإنه بالإمكان إخضاع العينات الصخرية لظروف الضغط والحرارة المختلفة لتشابه الظروف التي تسود داخل القشرة الأرضية.

ويوضح (الشكل ٣) العلاقة الموجودة بين ظروف الضغط والحرارة، وبين طبيعة التشوه في كل من حالة الانضغاط وحالة البسط.

ب-العلاقة بين قوة الضغط ودرجة التشوه (Courbe contrainte-déformation)

يوضح (الشكل ٤)

كيف أن الصخور الخاضعة لقوة ضغط متزايدة، تتعرض لتشوه متصل (déformation continue) متزايد، فتتقلص في حالة الانضغاط وتتمدد في حالي الجبر أو البسط، قبل أن تتعرض للكسر. (déformation continue).

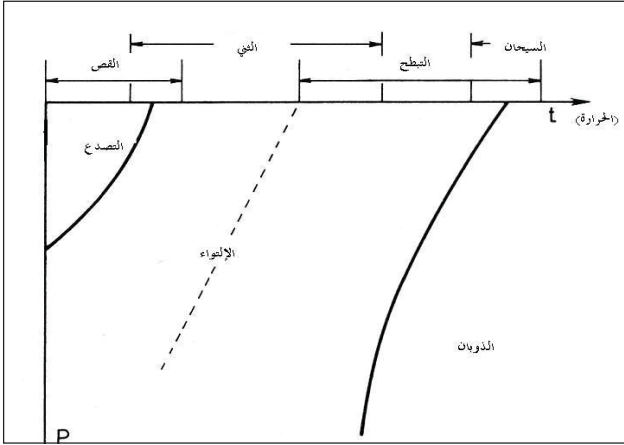
## ٢-٢ الخلاصة:

انطلاقاً مما سبق، وإذا علمنا أن القوى الكامنة وراء تكوين الجبال هي بالأساس قوى انضغاطية، نستطيع القول: لعل في الترتيبية الواردة في الآية الكريمة بين الخشوع والتصدع، إشارة إلى الحقيقة العلمية التي بناها سلفا، حيث تستجيب الصخور لقوى الانضغاط بالتقلص (الخشوع) أولاً، ثم تتعرض للكسر (التصدع) في نهاية المطاف.

## ٣ - معانٍ علمية لخشوع الجبال وتصدعها :

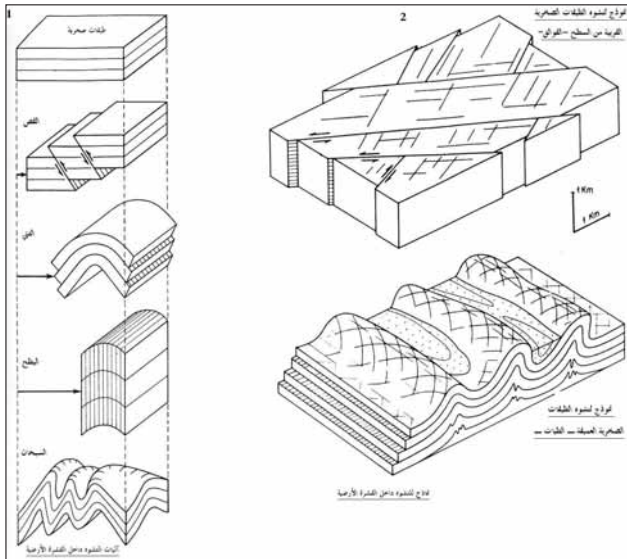
تعتبر الجبال -وهي المناطق المنضغطة من القشرة الأرضية (Zones de compression) -

إنزال القرآن على الجبل ملزم لخشوعه وتصدعه، لكن العكس غير ملزم مطلقاً.



الشكل 5:- توزيع مجالات التشوه وآلياته المختلفة حسب الضغط و الحرارة (M.Mattauer, 1980)

التشوه السائدة هي التسييل (Ecoulement)، ومن ثم فإن الصخور تسييل على طريقة السوائل وتشكل طيات تختلف عن تلك المتواجدة في مستويات أعلى، بحيث يحدث الإلتواء دون أي تقلص في المسافة الأصلية للطبقات الصخرية.



الشكل 6:- رسم توضيحي لآليات التشوه المختلفة وبعض نماذج التشوه، داخل القشرة الأرضية (M.Mattauer, 1980)

## خشوع الجبال وتصدها ثابت لثبوت سبب آخر للخشية من الله.

(الشكل ٥)، أن الصخور تتعرض للصدع (Comportement cassant) تحت ظروف الضغط والحرارة السائدة قريبا من سطح الأرض. ثم إذا رفعا الضغط والحرارة، فإن الصخور تتحول إلى الحالة اللدنة وتتعرض للطي والالتواء (Comportement Ductile)، قبل أن تصل هذه الصخور إلى نقطة الانصهار (Point de Fusion) فتصير كالسوائل المائعة.

وتحدد هذه التفاعلات المختلفة، بشكل مباشر، الآليات التي تحكم التشوه داخل القشرة الأرضية (الشكل ٦):

فعندما تتعرض الصخور للتصدع، يظهر التشوه على شكل فوالق (faults)، فيكون المجال خاليا من الطيات (folds)، مليئا بالصدوع بسبب سيادة القص (Cisaillement) كآلية رئيسة للتشوه؛ وعندما يتم التشوه دون كسر أو صدع، فإن الصخور تتعرض للالتواء والطي (Plissement)، وذلك بفعل آليتين مختلفتين:

- **الثنى (Flexion):** حيث تتعرض الصخور في مرحلة أولى، إلى الإلتواء مع الحفاظ على نفس السمك الأصلي للطبقات، وتسمى الطيات الناتجة عن هذه الآلية: الطيات المتساوية السمك (Plis Isopaques).

- **البطح (Aplissement):** في مرحلة متقدمة يكون التشوه أشد وأقوى وأعم، فتتعرض كل الصخور إلى بطح عام مصحوب بظهور التنضد (Schistosité)، كما أن السمك يصبح متباينا داخل الطبقة الصخرية الواحدة، فتحدث عن الطيات المتباينة السمك (Plis Anisopaques).

في هذه المرحلة يبلغ تقلص المسافة الأصلية للطبقات الصخرية مداه الأقصى.

وفي مرحلة أخيرة، في الأعماق التي تتعرض فيها الصخور لدرجات حرارة وضغط أعلى من تلك التي تميز نقطة الانصهار، تكون آلية

التجارب المخبرية وسيلة لمعرفة العلاقة الموجودة بين قوى الضغط والتشوهات الصخرية.

البنيات الانضغاطية الملاحظة في الجبال تكونت في ظروف متباينة وتكرر على فترات زمنية متباعدة.

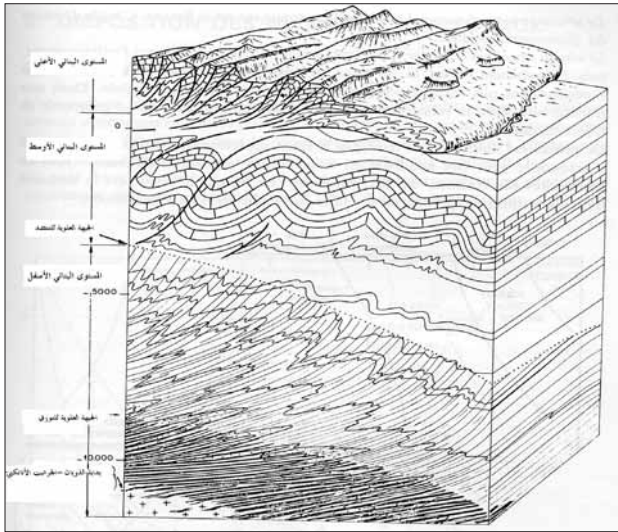
أن تأثر الجبال من خشية الله، قد يعود لسبب آخر، غير تأثره بمعاني القرآن (كما بينا ذلك في المبحث النحوي)، فتخشع وتتصدع.

بل إن القرآن الكريم يخبرنا أن الجبال قد يبلغ بها التأثر من خشية الله مبلغاً يفوق الخشوع و التصدع بكثير، يقول تعالى في الآية ١٤٣ من سورة الأعراف: ﴿ قَالَ لَنْ تَرْنِي وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرْنِي فَلَمَّا تَحَيَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾.

ومن ثم فالخشوع (بالالتواء والطي) والتصدع (بالتشقق والفلق) قد تكونا صفتين ملازمتين للجبال الدائمة الخشية لله، فهي ليست مجرد جمادات وأحجار صماء كما تنوهم، بل هي مخلوقات مسخرة مأمورة منقادة مطيعة، تسبح وتؤوب...، يقول تعالى في سورة الأنبياء، الآية ٧٩: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾، كما أنها قد تتأثر أيما تأثر من فرط سماع كلمات الشرك تصدر عن الإنسان المكلف، يقول عز من قائل في سورة مريم: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩٠ - ٩١.

ومما جعلنا نحو هذا المنحى في فهم الآية الكريمة قوله عز وجل:

﴿لرأيتهم﴾ والرؤية بصرية كما جاء في تفسير التحرير والتنوير، وقوله أيضاً: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾، فالآية واردة



الشكل 7:- مقطع نظري لجزء من القشرة الأرضية يبين المستويات البنائية الرئيسية ونوعية البنيات المقابلة لها (M.Mattauer, 1980)

بالإمكان إخضاع العينات الصخرية لظروف الضغط والحرارة المختلفة لتشابه الظروف داخل القشرة الأرضية.

### ٣-٢ المستويات البنائية الثلاث:

يتم تقسيم المستويات البنائية إلى ثلاثة مستويات مترابطة تناسب مع التقسيمات التكتونية (Subdivisions Tectoniques) المعهودة (الشكل ٧):

أ- المستوى البنائي الأعلى: وهو مجال الفوالق والصدوع، وآلية التشوه السائدة فيه هي القص.

ب- المستوى البنائي الأوسط: وهو مجال الطيات المتساوية السمك، وآلية التشوه السائدة فيه هي الشني.

ج- المستوى البنائي الأسفل: وهو مجال الطيات المتباينة السمك (مجال الصخور المتحولة)، وينقسم إلى نطاقين: نطاق أعلى تكون الطيات فيه مصحوبة بتضد عام، ونطاق أسفل، يغيب فيه التضد وتتعرض فيه المواد الصخرية للذوبان، أما الآليات السائدة في هذا المستوى البنائي فهي البطح ثم السيحان.

### ٣-٣ الخلاصة:

توضح هذه المعطيات العلمية الثابتة بجلاء أن صخور الجبال تتميز بخاصيتين اثنتين، هما خاصية الطي أو الالتواء وخاصية التصدع. ونستطيع القول: إن القرآن الكريم قد سبق بالإشارة إلى هذه الحقيقة العلمية منذ أربعة عشر قرناً في قوله عز وجل: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَلِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١، إذ نفهم من الآية الكريمة أن خشية الجبال لله تتم من خلال التواء الصخور وطيها (وهو الخشوع)، ومن خلال تكسرها وتفلقها (وهو التصدع).

### خاتمة:

يقول الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَلِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١ " والمعنى: لو كان المخاطب بالقرآن جبلاً، وكان الجبل يفهم الخطاب لتأثر بالقرآن تأثراً ناشئاً من خشية لله خشية تؤثرها فيه معاني القرآن". لكننا نرى

تتميز صخور الجبال بخاصيتي، الطي والتصدع.

إذن على سبيل التمثيل لا التخيل كما يقول الإمام أحمد، معقبا على قول الزمخشري (هذا تمثيل وتخيل): "وهذا مما تقدم إنكاري عليه فيه، أفلا كان يتأدب بأدب الآية: حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس..."<sup>(١)</sup>.

في الختام لابد من الإشارة إلى أن الله قد ضرب المثل في هذه الآية لتبيان عظمة قدر القرآن، وعلو شأنه، وقوة تأثيره على النفوس، كما يقول المفسرون، بحيث لو كان المخاطب بالقرآن جبلا لخشع وتصعد من خشية الله، بالرغم من قسوته وشدة صلابته. كما أن القصد من ذلك توبيخ الإنسان على غلظته وعلى قسوة قلبه، لأنه لا يتخشع عند سماع القرآن أو عند تلاوته<sup>(٢)</sup>، قال العوفي عن ابن عباس، في تفسير هذه الآية: "...فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع". فهلا تعامل المسلمون مع القرآن بما ينبغي له من حسن أدب، وجيد فهم، وعميق تدبر؟ أم أن القلوب قد أظلمت، والنفوس قد فسدت، فلا يبرح القرآن الأسماع ولا يجاوز الحناجر؟، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ نَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴾<sup>(٣)</sup> مُحَمَّدٌ : ٢٤.

سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة الخشوع والتصدع في الجبال منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

(١) انظر: تفسير الكشاف. الجزء الرابع. الصفحة ٤٩٦.

(٢) انظر: صفوة التفاسير. الجزء الثالث. الصفحة ٣٣٦ بتصرف.

(٣) تفسير ابن كثير. الجزء الرابع. الصفحة ٣٤٣.

#### المصادر العربية :

- القرآن الكريم. رواية حفص عن عاصم.
- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. "تفسير القرآن العظيم". مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. ١٩٩٤. ط٤.
- الزمخشري محمود بن عمر بن محمد. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٥. ط١.
- بن عاشور الطاهر "تفسير التحرير والتنوير". دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس.
- الصابوني محمد علي. "صفوة التفاسير". دار الفكر. بيروت. ١٩٩٦. ط١.
- الزحيلي وهبة. "التفسير الوجيز ومعجم معاني القرآن العزيز". دار الفكر. دمشق. ١٩٩٦. ط١.
- ابن عقيل بهاء الدين عبد الله. "شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك". ط٢.
- المكودي أبو زيد عبد الرحمن بن صالح. "شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف". إشراف محمد بنيس. دار المعرفة. البيضاء. ١٩٩٨. ط١.
- الأشموني. "شرح الأشموني على ألفية ابن مالك". إشراف إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٨. ط١.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. "لسان العرب". دار صادر. بيروت. ١٩٩٤. ط٤.
- وزارة التربية الوطنية للمملكة المغربية. "المعجم العلمي والتقني. فرنسي - عربي". مكتبة عالم المعرفة. الرباط. ١٩٩٤. ٣٥٠ ص.
- الخطيب أحمد شفيق. "معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية. إنكليزي - عربي". مكتبة لبنان. بيروت. ١٩٩٥. ط٦.
- مشرف محمد عبد الغني وإدريس عثمان. "قاموس مصطلحات الرسوبيات المصور". مطابع جامعة الملك سعود. الرياض. ١٩٩٠. ط١.

#### المصادر الأجنبية :

- Mattauer. M ; (1980) : « Les déformations des matériaux de l'écorce terrestre ». Coll. Méthodes. Hermann. Paris. 2ème eds. 493 p.
- Michel. J-P ; Fairbridge. R.W ; Carpentier. M.S.N, (1997): « Dictionnaire des Sciences de la Terre. Anglais-Français/Français-Anglais ». Paris. 3ème eds. 500 p.

# التفسير العلمي للإهلاك بالصيحة

أهلك الله عزّ وجلّ أقواماً بالصيحة، وذكرت الآيات القرآنية الكريمة أوصافاً كثيرة لوسيلة الإهلاك، وأثارها على المعذبين، وقد توصل العلم الحديث مؤخراً إلى كثير من الآثار الضارة للأصوات المرتفعة والانفجارات الضخمة مما يتفق مع أوصاف القرآن الكريم للصيحة وأثارها المهلكة. وبين يدي القارئ بيان لتلك الأوصاف وتطابقها مع ما توصل إليه العلم الحديث.

د. محمود محمد الشورى

استشاري الأنف والأذن والحنجرة  
- مستشفى حراء العام - مكة المكرمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

## ذكرت الآيات القرآنية أوصافا كثيرة لوسيلة الإهلاك، ولآثارها على المعذبين.

فقال رحمه الله: يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسول كيف أبادهم وتنوع في عذابهم، وأخذهم

بالانتقام منهم ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ أي كانت عقوبته بما يناسبه، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم عاد، وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب، تحمل عليهم حصباء الأرض فنلقبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض، فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة على تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوها سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحاً ومن آمن معه، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة أخدمت الأصوات منهم والحركات: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهو قارون الذي طغى وبعى وعتا وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحاً واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا﴾ وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم، أغرقوا في صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ أي فيما فعل بهم: ﴿وَلَكِنَّ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقاً بما كسبت أيديهم. اهـ.

وممن أخذتهم الصيحة الذين كفروا من قوم شعيب قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جثييين ﴿٤٤﴾ هود : ٩٤، والمناسبة هناك - والله أعلم - أنهم لما تهكموا به في قولهم: ﴿قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٧٧﴾ هود : ٨٧.

فجاءت الصيحة فأسكتتهم، وقال تعالى: إخباراً عنهم في

كنت قد بحثت موضوع السمع في القرآن الكريم وأشرت إشارة عابرة إلى أن من أوجه الإعجاز فيه ذكر الإهلاك بالصيحة، ثم تبين لي أن الأمر أكثر من أن تحيط به إشارة عابرة، ولذلك أعدت النظر في الموضوع برمته وجمعت الآيات التي تحدثت في هذا الأمر فوجدت عجباً. ولنذكر أولاً أن الأقوام الذين أهلكوا بالصيحة هم ثمود قوم صالح، ومدين قوم شعيب، وأهل أنطاكية المذكورين في سورة يس والمعروفون بأصحاب القرية. وكان قد وقع لي سؤال هل هناك مناسبة بين عمل كل قوم أهلكوا وبين نوع العذاب الذي عذبوا به؟ ثم وجدت الجواب في حديث شريف عن عطاء بن أبي رباح، قال: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: "... فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خِصَالُ حُمُسٍ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ. لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ؛ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فُشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخْذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤَنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يَمْطُرُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بِبَعْضِ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَمْنُهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهَمِ بَيْنَهُمْ" (١).

ووجدت ابن كثير رحمه الله تحدث وأطال النفس في ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِينَهُمْ وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ العنكبوت: ٣٨-٤٠،

كل صوت من الأصوات يترتب عليه استجابة وظيفية مختلفة.

(١) صححه الحاكم ح (٨٦٢٣)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني. صحيح الجامع ح (٧٩٧٨).

(Adaptation)، ثم إذا زاد التعرض في المدة أو الشدة حدث ضعف مؤقت في السمع (Temporary threshold shifts)، فإن زاد أكثر أدى إلى ضعف

مستديم في السمع (Permanent threshold shifts) (٢).

وقد سمي الله تعالى يوم القيامة بالصاخة حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَّةُ﴾ (٣) عَبَسَ.

وهذه الكلمة ذات الحروف الأربعة تدل على أربعة معان:

- الأول على يوم القيامة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الصاخة من أسماء يوم القيامة.
- والثاني كون يوم القيامة يبدأ بصوت.
- والثالث كون هذا الصوت مرتفعاً.

- والرابع هو أثر هذا الصوت في أذن من يسمعه، وأنه يذهب بسمعه، قال القرطبي: والصاخة: الصيحة التي تكون عنها القيامة، وهي النفخة الثانية، تصخ الأسماع: أي تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به للأحياء. قال الخليل: الصاخة: صيحة تصخ الأذان صخاً أي تصمها بشدة وقعتها. وأصل الكلمة في اللغة: الصك الشديد (٣). وربما كانت هذه الآية أول ما عرفه الإنسان عن أثر الضوضاء في الذهاب بسمع الإنسان.

ومن الناحية التشريحية فإن التعرض للضوضاء يؤدي إلى فقد بعض الخلايا الشَّعْرِيَّةِ المسنولة عن السمع في الأذن الداخلية، وتغيرات في الإمداد الدموي للقوقعة بالأذن الداخلية.

ولا يتوقف ضرر الصوت المرتفع على الأذن بل إن بقية أعضاء الجسم تتأثر أيضاً بالضوضاء، ولذلك يزداد معدل ضربات القلب، ويرتفع ضغط الدم، ويقل النوم، وتنقبض الأوعية الدموية، ويزداد معدل التنفس، وتحدث تغيرات كيميائية في المخ، وتزداد مقاومة الجلد بسبب الصوت المرتفع.

ووفقاً لإرشادات منظمة الصحة العالمية عن الضوضاء البيئية فإن "هذه الآثار الصحية، بدورها، يمكن أن تؤدي إلى الإعاقة

## بسبب الصوت المرتفع تحدث تغيرات كيميائية في المخ ويزداد معد ضربات القلب

سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٧٨) الشُّعْرَاءِ.

وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق

القصّة: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٧٧) الشُّعْرَاءِ، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله حيث أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم، فيها شر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (٧٦) هُود. أهـ. (١)

فهؤلاء لما أصموا أسمعهم عن سماع الحق وأصروا واستكبروا استكباراً بعد أن أجيبوا إلى سؤالهم أخذهم الله بعذاب من جنس ما عطلوه من حواسهم، أعني الصيحة المناسبة لعدم سماعهم للحق والإذعان له.

## الآثار الضارة للضوضاء:

الصوت هو وسيلة قوية للتواصل عن بعد. وتستخدم الأصوات في جذب الانتباه، وفي التحذير، وفي التواصل. وبينما يرتاح المرء للصوت الحسن، فإنه ينزعج لصوت آلة التنبيه في السيارة، وهو يرتعب من صوت الانفجار. وكل صوت من الأصوات يترتب عليه استجابة وظيفية مختلفة.

كما أن الصوت ما هو إلا شكل من أشكال الطاقة، فهو عبارة عن تضاعفات وتخلخلات في الهواء، وتستجيب الأذن الطبيعية للصوت طالما كان في مدى معين من الترددات (من ٢٠ إلى ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية)، ومدى معين من شدة الصوت (من ١٠- حتى ١١٠ ديسيبل)، فإذا خرج الصوت عن المدى السمعي للأذن فإنها قد لا تدركه إذا كان في غير الترددات التي تدركها الأذن البشرية، وهي المعروفة بالموجات فوق - أو تحت - الصوتية، أو كان خافتاً جداً، أو تتضرر منه إذا كان عالياً جداً.

والمعروف أن التعرض للضوضاء يؤدي إلى التعود

”يزداد أثر الانفجار المدمر بوجود حائط وصد“

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(2) Diseases of the ear, Ludman, H and Wright, T Oxford university press, 1998 p. 487.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

الاجتماعية، وقلة الإنتاجية، وقلة التحصيل الدراسي، والتغيب عن العمل والمدرسة، وزيادة استعمال الأدوية، والحوادث" (١).

### قوم ثمود:

لنأخذ قوم ثمود مثلاً لمن أهلك بالصيحة؛ حيث ذكرت قصتهم مفصلة في مواقع كثيرة من القرآن الكريم.

لقد كان قوم هود بعد عاد، وكانوا يعبدون الأوثان، وكانوا في نعمة عظيمة، وتقدم وحضارة

بشرية؛ حيث وصفوا في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١١). الأعراف، أي أباح لكم هذه الأرض تبنيون في سهولها القصور وتنتحون من الجبال بيوتاً فارهين أي حاذقين في صنعتها، أو إتقانها وإحكامها.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَلَهْتُمْ بِآيَاتِنَا﴾ (١٢) فِي جَنَّتِ وَعُيُونٌ ﴿١٣﴾ وَرُزُوعٌ وَنَحْلٌ طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴿١٤﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَدَرِهِينَ ﴿١٥﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٨﴾ الشُّعْرَاءُ، ﴿١٩﴾ قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٢٠﴾ هُود، أي هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض وجعلكم عماراً أي أعطاكموها بما فيها من الزرع والثمار: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ الفجر: ٩.

لقد كانت حضارة ثمود ضرباً رهيباً من الحضارات، حتى أنهم وصلوا إلى نحت البيوت في صخور الجبال، على أسس دقيقة من هندسة النحت والتعمير، وما زالت قائمة إلى اليوم في الحجر بين

إذا زاد التعرض للصوت في المدة أو الشدة أدى إلى ضعف مؤقت أو مستديم في السمع.

## الصاخة من أسماء يوم القيامة، وتعني أنها تبدأ بصوت مرتفع.

المدينة المنورة وتبوك من الجزيرة العربية، ولكن إجماعهم على تحدي رسالة السماء كان انتكاساً كاملاً في الفطرة. وتحدياً شاملاً لها، ولهذا كان أخذهم عن طريق انتكاس الأسباب وتغيير وظائفها الأصلية التي فطرت عليها لفترة محددة من الزمن تعود بعدها إلى طبيعتها.

وقد ذكر أن قوم نبي الله صالح عليه السلام كانت أعمارهم طويلة، فكانوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم، ففتحوا لهم بيوتاً



في الجبال، وكان ذلك يعطيهم إحساساً زائفاً بالأمن من الكوارث والعذاب كما قال تعالى: ﴿وَكَأَنُوبُ يُنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ (٢١) الحجر، أي من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً، ويمكن أن يكون الأمن أتاهاهم بسبب البيوت التي كانوا ينحتونها من الجبال.

### وصف وسيلة الهلاك:

لكن المتأمل في الآيات التي ذكرت إهلاكهم يلاحظ أموراً متعددة في وصف وسيلة الإهلاك ووصف أثرها على المهلكين: أما وسيلة الإهلاك فقد وصفت بأوصاف كثيرة منها:

الصيحة وهي الصوت الشديد، قيل: صيحة جبريل عليه السلام، وقيل: صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم وماتوا.

الطاغية أي بالفعلة الطاغية. وقال قتادة: أي بالصيحة الطاغية أو المجاوزة للحد، أي لحد الصيحات من الهول. والطحيان: مجاوزة الحد، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ الحاقة: ١١، أي جاوز الحد. وقال الكلبي: بالطاغية بالصاعقة. وقال مجاهد: بالذنوب. وقال الحسن: بالطحيان، فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة والعافية. أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم.

(1) Decibel Hell: The Effects of Living in a Noisy World. Environmental Health Perspectives (EHP) Volume 114, Number 4 April 2006.



هلكى هامدين كغناء السيل وهو ما يحمله من بالي الشجر من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجَدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿١٧٦﴾ الْقَمَرِ .

والجزء الآخر يزيد الضغط إلى بضع مئات من الضغط الجوي مما يترتب عليه الآثار الآتية:

### \*الإصابات المبدئية:

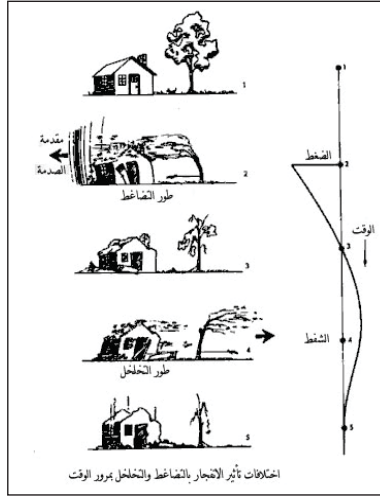
سببها موجة الضغط المباشرة على الجسم. يزيد أثرها المدمر بوجود حائط لصد وعكس وتكبير الموجة أمام الجسم (الجبال والظلة) لدرجة أن الانفجار الذي يؤدي إلى إصابة خفيفة

لو حدث في العراء يمكن أن يكون قاتلا لو حدث هو نفسه والمصاب موجود أمام سطح عاكس كحائط صلب. والمفارقة هنا أن ثمود وقد بنوا بيوتهم من الجبال لزيادة الأمن، قد تكون هذه الجبال نفسها سببا في تزايد الأثر المميت للصيحة بسبب عكسها وتكبيرها، والقرآن الكريم أكد أن الهلاك حدث (في ديارهم) هذا بالإضافة إلى وجود الظلة فوقهم.

ويعتمد ضررها على قوة الضغط (بالطاغية)، وعلى المدة الزمنية لها (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) والمعنى أنها ممتدة لا تقطع فيها، كما يعتمد على قوة الشفط الناتجة عن موجة التخلخل التي تلي موجة الضغط. كما يحدث الضرر الأساسي في الأعضاء التي تحتوي على تجويف (الأذن، الرئة، الجهاز الهضمي).

أما الأذن فتتمزق طبليتها، ويمكن أن تنخلع أو تنكسر عظيما الأذن الوسطى، وتتأثر كذلك الخلايا السمعية الحسية في الأذن الداخلية، ويؤثر هذا كله على وظيفة السمع (الصَّاحَّةُ) وفي الحالات الشديدة تتأثر وظيفة التوازن فيفقد الإنسان توازنه ويقع ﴿ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِييْنَ ﴿١٧٧﴾ هُودِ .

وأما إصابة الرئة فهي من أخطر وأشنع أسباب الوفاة بسبب الانفجارات؛ وذلك أن زيادة الضغط تؤدي إلى كدمات رئوية وتمزق لجران الحويصلات الهوائية، فهي تبدأ عند (PSI 30) وتتأكد عند (PSI 75)، وبسبب الاختلاف في المرنة بين الرئة كعضو ملئ بالهواء، والأوعية الدموية، كعضو ملئ بالسائل (الدم) تحدث قوة قصية



وقيل إن الطاغية عاقر الناقة: قاله ابن زيد أي أهلكوا بما أقدم عليه طاغيته من عقر الناقة، وكان واحدا، وإنما هلك الجميع لأنهم رضوا بفعله وما لؤوه. وقيل له طاغية كما يقال: فلان راوية الشعر، وداهية وعلامة ونسابة.

**عذاب يوم الظلة:** ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٨﴾ الشعراء، قال ابن عباس رضي الله عنه أصابهم حر شديد فأرسل الله سبحانه سحابة فهبوا إليها ليستظلوا بها. فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا.

### الرجفة:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِييْنَ ﴿١٧٧﴾ العنكبوت، فلم ينته شعيب رضي الله عنه، أن دعاهم، فلما عتوا على الله أخذتهم الرجفة، وذلك أن جبريل رضي الله عنه، نزل فوقهم عليهم، فصاح صيحة رجفت منها الجبال والأرض فخرجت أرواحهم من أبدانهم، فذلك قوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ وذلك أنهم حين سمعوا الصيحة قاموا قياما فزعوا لها، فرجفت بهم الأرض فرمتهم ميتين: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٨﴾ الشعراء.

**الصاعقة:** ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧٩﴾ فصلت. **الدمدمة:** ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٨٠﴾ الشمس .

### الآثار المترتبة على الانفجارات الضخمة:

تتميز الانفجارات بأنها عبارة عن موجة هائلة من التضاغطات والتخلخلات تنشأ في المعتاد من تحول وسط سائل أو وسط صلب في الغالب إلى الحالة الغازية بسرعة فائقة، فينتج عن ذلك تمدد كبير في الحجم يترجم على هيئة هذه الموجة من الانفجار.

يتبدد جزء من هذه الطاقة على هيئة حرارة عالية قد تصل إلى ٤٠٠ درجة م. ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ عُتَاءً فَبُعَدَا لَلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨١﴾ المؤمنون، أي

”إصابة الرئة بسبب الانفجارات من أخطر وأشنع أسباب الوفاة.“



قد يبدو للوهلة الأولى عند سماع منطري القوانين الوضعية أن تلك القوانين تتميز عن الشريعة الإسلامية بأنها تحمل صفة الإلزام، وأن الأحكام الشرعية لا تحمل تلك الصفة، وإنما هي علاقة روحية بين العبد وربّه غير قادرة على الاتصاف بتلك الخصيصة ولكن الحقيقة غير ذلك؛ حيث تتضافر وجوه الإلزام في الشريعة الإسلامية من عدة وجوه، فقد جعلت عدة حواجز مانعة من الوقوع في الجريمة أو الخطأ في حق الغير، منها الحاجز الإيماني، والحاجز الأدبي الاجتماعي، والحاجز القانوني. وبهذا يتبين افتقار القوانين الوضعية لتلك المميزات، واقتصرها على جانب الإلزام القانوني، وفي هذا البحث سيجد القارئ أدلة على تفوق الشريعة الإسلامية عن غيرها من القوانين في مجال صفة الإلزام.

## من وجوه الإعجاز التشريعي تضافر أوجه الإلزام في القرآن والسنة

أ. د. صالح عسكر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة / الجزائر



الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية وبين القوانين الوضعية، لتكشف النظام القانوني المعجز والفريد الذي جاء به الإسلام.

### فكرة الإلزام في التشريع الإسلامي

#### والقوانين الوضعية:

إن المتصفح لكتب القانون يجد أن أصحابها يشبتون لها خاصية تميزها -على حد قولهم- عن القواعد الدينية والأخلاقية، وقواعد الآداب والمجاملات، وتتمثل هذه الخاصية في ما تحمله القواعد القانونية من إلزام يترتب عليه جزاء. ورد في كتاب نظريتنا الحق والقانون: "والإلزام القاعدة القانونية هو الخصيصة التي تميزها عن قواعد الأخلاق والدين. ولهذا نقول بأن القواعد القانونية تكون دائماً ملزمة للأشخاص، وتبرز خاصية الإلزام في الجزاء الذي يوقع على من يخالف تلك القاعدة القانونية"<sup>(١)</sup>.

وجاء في موضع آخر: "والمقصود بالجزاء هو رد الفعل أو العقاب أو الإلزام على الالتزام والاحترام عن طريق استعمال القوة العامة المتمثلة في وظيفة السلطة العامة للدولة، فيقوم بالتنفيذ رجال الدرك والشرطة عند اللزوم"<sup>(٢)</sup>.

في المقابل يرى الدارسون والمختصون في علوم الفقه والتفسير والحديث وسائر علوم الشريعة أن هذه الخاصية -أي الإلزام- غير مقصورة على القانون، بل إن قواعد التشريع الإسلامي تدرج هذا الإلزام الجزائي العقابي ضمن مجموعة من الإلزامات أو الالتزامات الأخرى، مما يجعل القاعدة التشريعية الإسلامية النموذج الأكمل للقانون المصلح للمجتمعات، والحافظ للدماء والأنفس والأموال والأعراض.

بينما يرد آخرون بأن الدين مسألة علاقة روحية شخصية بين الإنسان وربّه، والجزاء الذي يحمله جزاء أخروي، وأنه يفقد صبغة "الروحية والطهارة" إذا أخرج من هذا الإطار....

فما مدى صحة كل من الطرفين؟ وهل تحمل النصوص التشريعية الإسلامية حقيقة إعجازاً تشريعياً لا يمكن أن يماثل أو يضاهي؟

### زيادة الجرائم وترويع الآمنين، ينطق بعجز الأنظمة القانونية الوضعية عن الحد من الإجرام.

إن المجتمعات التي لا تطبق الأحكام الشرعية تدق اليوم ناقوس الخطر بسبب انتشار العدوان على الأنفس والأموال والأعراض،

وانتشار ترويع الآمنين، مما ينطق بنفسه عن عجز الأنظمة القانونية عن الحد من الإجرام الذي أصبح ظاهرة متنامية يوماً بعد يوم.

وليس الأمر مقصوراً على المجتمعات والدول الفقيرة والضعيفة فحسب، بل للمدن والدول الكبرى منها نصيب وافر. جاء في موقع "CRIME IN AMERICA"

#### ما ترجمته:

"تم ارتكاب ١٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جريمة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال ١٣ سنة المنتهية في ٢٠٠٢م، منها ٤٨٦,٠٠٠ جريمة قتل.

- تم إطلاق كل عام أكثر من ٥٧٠,٠٠٠ شخص في المجتمع من خريجي السجون، أطلق جزء منهم في أماكن غير سليمة.  
- قيادة السيارات في حالة سكر تسبب بقتل عدد من الناس أكبر من العدد الذي تعرض للقتل في جميع حروب الولايات المتحدة مجتمعة.

قام الباب المستدير لنظام العدالة الجنائية بإطلاق سراح سائق في حالة سكر من كل أربعين توقيفاً مسبقاً.

- السرعة والعقاب المؤكد مفقود في النظام القضائي الجنائي في أمريكا.  
- خلال المدة ما بين ٠٩/١١ إلى نهاية عام ٢٠٠٦م كان هناك نحو ٨٠٠٠ جريمة قتل تقريباً في أمريكا.

- خلال المدة ما بين ٠٩/١١ إلى نهاية ٢٠٠٦م كانت تكاليف الإرهاب الخارجي نحواً من ترليون دولار أمريكي تقريباً، وخلال الفترة نفسها كانت التكاليف المباشرة وغير المباشرة لـ "الإرهاب الداخلي" أو الجرائم في أمريكا نحواً من ٣,٥ ترليون دولار تقريباً.

- التكاليف المباشرة وغير المباشرة للإرهاب الداخلي (الجرائم) أصبحت الآن تتجاوز ٦٧٥ بليون دولار سنوياً ... "

هذه البيانات المسجلة في دولة يفترض أنها تقود ركب المدنية اليوم، تكشف أن التشريعات والقوانين -إذا لم تصاحبها أسباب تلزم الناس بالعمل بها- تظل حبراً على ورق، ولا يكون لها معنى. وانطلاقاً من ذلك، تحاول هذه الدراسة أن تقارن بين صور الإلزام في التشريع الإسلامي

(١) د. إسحاق إبراهيم منصور، نظريتنا القانون والحق وتطبيقاتها في القوانين الجزائرية ص (٣٤)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

(٢) المرجع السابق ص (٣٣).

**جرائم متنوعه بسبب قصور في القوانين  
الوضعية وصلت إلى ١٥٩ مليون جريمة  
في أمريكا وحدها خلال ١٣ سنة.**

الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (٢).

وهذا الحديث عده العلماء من الأحاديث التي يدور عليها الإسلام حتى جعلوه ثلثه (٣)، وقد تضمن جملة من الأمور منها:

**١ - أن الأشياء ثلاثة أقسام:**

أ- حلال بين واضح لا يخفى حله.

ب- حرام بين واضح لا تخفى حرمة.

ج- مشتبهات لم يتبين لكثير من الناس حلها أو حرمتها، غير أن حكمها لا يخفى على العلماء، قال النووي: "وأما المشتبهات فمعناها أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلها لا يعرفها كثير من الناس ولا يدركون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي ... " (٤).

٢ - أن من أراد سلامة دينه من الوقوع في الحرام، وعرضه من أن يتحدث الناس فيه بسوء فيسبوه بالفسوق والجرأة على حدود الله، فليتنوع وليجتنب الشبهات، " قال حسان بن أبي سنان ما رأيت شيئاً أهون من الورع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " (٥).

٣ - أن الواقع في الشبهات كحاطب الليل؛ يأخذ مرة حطباً ويمسك مرة حية، ولذلك فسيقع في الحرام، وقد ضرب له النبي ﷺ مثلاً بالراعي الذي يرمى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، وإن المحارم هي حمى الله الملك الحق، والواقع في الشبهات حائم حول المحارم يوشك أن يقع فيها: " ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي

**أولاً: طبيعة الإلزام في القانون الوضعي:**

تقدم أن الإلزام في القانون الوضعي يكون بإيقاع الجزاء المتمثل في "رد الفعل أو العقاب أو الإجبار على الالتزام والاحترام عن طريق استعمال القوة العامة".

**وتصنف الجزاءات إلى:**

١ - جزاءات جنائية وهي العقوبات وتدابير الأمن.

٢ - جزاءات مدنية متمثلة في إبطال التصرف.

٣ - جزاءات إدارية متمثلة في إلغاء القرارات الإدارية. (١)

**ثانياً: طبيعة الإلزام في النصوص والتشريعات الإسلامية:**

لم يقع فصل في الإسلام بين الغيب والشهادة، وبين العقيدة والشريعة، وبين العبادة والمعاملة، وكما تضمنت شريعة الإسلام أحكام الصلاة والحج والصيام والكفارات ... تضمنت أحكام القضاء والشهادة والبيع والإجارة والفصل في الخصومات وغيرها، وأنه من الواضح مثلاً أن الحدود التي تُتلى أحكامها في كتاب الله كحد السرقة والقتل والقصاص تمثل عقوبات وإلزامات دينوية عاجلة التنفيذ كالمصوص على أنها من خصائص القانون الوضعي. ولكن رغم ذلك فإن التشريع الإسلامي تشريع إلهي يختلف عن أكمل تشريع بشري ولا بد أن يتفوق عليه، ولذلك يجب أن ننظر إليه نظرة أشمل وأعمق تستجلي تعدد أوجه الإلزام فيه وتنوعها، وقد وجدنا إشارة إلى شيء من ذلك في حديث مشهور للنبي ﷺ وهو حديث الحلال بين والحرام بين.

فقد روى مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرمى حول



(١) المرجع السابق ص (٣٤).

(٢) صحيح مسلم ج (١٥٩٩) ج (٣ / ١٢١٩).

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج (٣ / ١٢١٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ج (٣ / ١٢١٩).

(٥) شرح صحيح البخاري الشيخ عبدالمحسن العباد ص (١٨٧).

يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه<sup>(١)</sup>: "ومعناه أن

## خريجو السجون يتضاعفون بشكل كبير في المجتمعات الغربية.

ثلاثة أنواع من أسباب الإلزام: أولها: الحاجز الإيماني ممثلًا في التقوى والخوف من مواقعة الحرمات،

وإليه الإشارة بـ "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" بمعنى أن من كان له قلب صالح يخاف الله تورع عن بعض الحلال فضلا عن الحرام والشبهات فصلحت جوارحه وصلحت أعماله، ومن كان ذا قلب خاوٍ من الإيمان لا يخاف الله اجتراً على الحرام البين فضلاً عن الشبهات، ففسدت جميع أعماله.

ثانيها: الحاجز الاجتماعي: وإليه الإشارة ببراءة العرض -أي السمعة- في قوله ﷺ: "استبرأ لدينه وعرضه".

ثالثها: الحاجز العقابي ممثلًا في الحدود والتعازير المنصوص عليها بالبيان والتفصيل (الحدود) أو على وجه العموم والإطلاق (التعازير).

وفيما يأتي بيان لها بشيء من التفصيل:

### أ - الحاجز الإيماني:

تمتلك الشريعة الإسلامية وجهًا فريدًا من وجوه الإلزام يجعل الخاضعين له من المؤمنين برسالة الإسلام يلتزمونه التزامًا تلقائيًا، ويفرض عليهم فيه رقابة لا تنحصر في الزمان والمكان؛ فالأصل أن المؤمن بهذا التشريع يلتزمه ولو كان لا يخاف من سلطة عقابية، ومن نتائج ذلك أن الملايين من المؤمنين في كثير من البلدان ذات القوانين والتشريعات والثقافات والديانات المختلفة في جميع أنحاء العالم لا يشربون الخمر، ولا يأكلون الربا، ولا يعتدون على أموال الناس، ولا يقعون في الزنا والفواحش، رغم أن هذه الأشياء -أو جزءًا منها على الأقل- لا تعتبر جرائم في تشريعات البلاد التي يعيشون فيها، بل

### تمتلك الشريعة الإسلامية وجهًا فريدًا من وجوه الإلزام

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج (٣/١٢١٩).

(٣) صحيح البخاري - ج (٢/٧٢٣).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ج (٣/١٢١٩).

ملوك العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفًا من الوقوع فيه، ولله تعالى أيضا حمى وهي محارمه: أي المعاصي التي حرمها الله كالقتل والزنا والسرقة والقتل والخنزير والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل وأشبه ذلك؛ فكل هذا حمى الله تعالى من دخله بارتكابه شيئًا من المعاصي استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولم يتعلق بشيء يقربه من المعصية فلا يدخل في شيء من الشبهات<sup>(٢)</sup>.

٤ - أن الإنسان إذا حمل نفسه وعودها على ترك المشتبهات وألزمها ذلك كان أشد حذرًا للحرام، وأن من استسهل الوقوع في المشتبهات أوشك أن يستسهل الوقوع في الحرام، وقد وقع ذلك صريحًا في لفظ البخاري: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجتراً على ما يشك فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع<sup>(٣)</sup>".

٥ - أن القلب -على صغره- إذا صلح فكان تقياً خائفاً من مواقعة الحرمات صلح بصلاحه سائر البدن والجوارح وصلحت أعمالها، وإذا فسد فكان فاسقاً متجرئاً على حرمات الله فسد بفساده سائر البدن والجوارح وفسدت أعمالها: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". قال النووي: "قال أهل اللغة: يقال: صلح الشيء وفسد بفتح اللام والسين وضمهما والفتح أفصح وأشهر، والمضغة القطعة من اللحم؛ سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها. قالوا: المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب<sup>(٤)</sup>".

هذا عما تضمنه الحديث، وقد وقعت فيه الإشارة إلى المنهج الرباني الفريد في الإصلاح الفردي والجماعي، وبناء الرقابة الذاتية والجماعية المانعة من الفساد؛ فلقد وضع الإسلام منهجًا يتضمن

عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مُرُهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ نَحْيِصْ ثُمَّ نَطْهَرُ ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ فِتْلِكَ الْعِدَّةَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ" (١).

**قيادة السيارات في حالة سكر تسببت بقتل عدد من الناس أكبر من عدد الذين قتلوا في جميع حروب الولايات المتحدة.**

المزيناات والمرغبات فيها والمحفظات عليها كثيرة ومتعددة.

وحتى البلاد الإسلامية التي تجرم هذه الفواحش أو بعضها، أو تفرض

فإذا طلقها بقيت في البيت ثلاثة أشهر يراجع فيها نفسه متى شاء قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١٥﴾ الطَّلَاق .

عليها عقاباً، فإن عامة من يتورع عن الوقوع فيها من أهل هذه البلاد يفعلها خوفاً من الله لا خوفاً من العقاب الدنيوي القضائي.

من هذا الباب، فإن السلطة المدنية في البلاد التي تتخذ الإسلام نظاماً لحياتها، وتشريعاته قوانين لها تحف مسؤوليتها من جهتين:

أ- فمن جهة، فهي تتعامل مع فئة قليلة شاذة بالنسبة لعموم المجتمع، مما يجعل الأمر بالنسبة إليها أخف وأسهل.

وإذا أوشكت العدة أن تنتهي ربما فكر الزوج في إيذاء زوجته، بأن يسد في وجهها باب زواج آخر، فيراجعها بقصد حبسها وتعليقها لا رغبة في إمساكها، وهذه النية المبيتة لا يمكن أن يطلع عليها قاض أو شرطي. وهنا يتجلى التشريع الرباني الفريد الذي يفرض على الرجل الرقابة في شيء إن كتمه في نفسه لم يطلع عليه من البشر أحد، ولا سبيل لمخلوق للعلم به، وهو ما نص عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ البقرة، وإننا نلاحظ هذا التكامل العجيب بين جملة هذه التشريعات التي تبدأ من التفكير في العلاقة الزوجية، ثم من نشوئها القانوني (العقد) ثم الفعلي (البناء) وما يصاحبها ويكفل سلوكها للمسلك الصحيح (الحقوق الزوجية)، وما يوصف من علاج

ب- ومن جهة ثانية، فإن الفئة الغالبة في المجتمع داعمة لها في هذا المسعى، من منطلق الدين والقناعة، سواء بالدعم الفعلي المعين على كشف الجرائم والمعاقبة عليها، أو بالسند المعنوي الأدبي.

وفي هذا الباب أيضاً نلاحظ بعض القوانين والتشريعات التي لا يمكن أن تفرض في غير التشريع الإسلامي؛ لأن الرقابة المدنية عليها غير ممكنة، ولنضرب لذلك مثلاً بمسألة تتعلق بالأحوال الشخصية. فقد جاء الإسلام بنظام فريد في مجال العلاقات الأسرية يبدأ من التفكير في إنشاء العلاقة الزوجية (الخطبة)، والأمور المفروضة ثم المستحبة في اختيار كل من الزوج والزوجة، ومن يقوم بإنشاء العلاقة الزوجية؟ والحقوق والواجبات المترتبة عليها، وانتهاءً بحل العلاقة الزوجية أو انتهائها بالطلاق أو الوفاة وما يترتب على ذلك من أحكام (النسب، الميراث، العدة...).

وعند إرادة إنهاء العلاقة الزوجية جاء الإسلام بشيء فريد وهو إلزام الزوج ألا يوقع الطلاق إلا في فترة محددة، وهي أن تطهر زوجته من الحيض وألا يمسه في ذلك الطهر، وهي فترة تمنح الزوج فرصة أولى للتفكير، وتقدير عواقب فعله، فلا يكون طلاقه نزوة أو ردة فعل ناشئة من غضب ونحوه، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ

**نظام متميز للعلاقات الأسرية في الإسلام**



(١) صحيح البخاري ح (٥٢٥١) صحيح مسلم ح (١٤٧١)

للاضطرابات الطارئة (علاج النشون)

وحى ما يتعلق بإنائها انطلاقاً من التفكير في إيقاع الطلاق: ﴿وَعَاثِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝﴾ النساء، وانتهاء إلى ما يصاحب الطلاق: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝﴾ النساء، أو ما يتفرع عنه (أحكام العدة، الرضاع، ...).

ونريد أن ندرس خاصة الإلزام الإيماني التي تخول التشريع الإسلامي إصدار تشريعات وأحكام لا يمكن أن تصدر في قوانين وتشريعات أخرى عبر المثل المشار إليه سابقاً، وهو قرب انتهاء عدة المرأة المطلقة وما قد يببته الزوج من إمساكها رغبة في تعليقها لا رغبة فيها، والذي وقع عنه النهي في الآية السالفة: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾ البقرة.

قال ابن جرير في تفسير الآية: يعني تعالى ذكره بذلك: وإذا طلقتم، أيها الرجال نساءكم فبلغن أجلهن، يعني: ميقاتهن الذي وقته لهن، من انقضاء الأقرء الثلاثة، إن كانت من أهل القرء، وانقضاء الأشهر، إن كانت من أهل الشهور، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾، يقول: فراجعوهن إن أردتم رجعتن في الطلقة التي فيها رجعة.. وأما قوله:

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾، فإنه عني: بما أذن به من الرجعة، من الإشهاد على الرجعة قبل انقضاء العدة.... ﴿أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، يقول: أو خلوهن يقضين تمام عدتهن وينقضي بقية أجلهن الذي أجلته لهن لعددهن، بمعروف. يقول: بإيفائهن تمام حقوقهن عليكم، على ما ألزمتكم لهن من مهر ومتمعة ونفقة وغير ذلك من حقوقهن قبلكم، ﴿ولا تمسكوهن ضاراً لتعتدوا﴾ يقول: ولا تراجعوهن، إن راجعتموهن في عددهن، مضارة لهن، لتطولوا عليهن مدة انقضاء عددهن، أو لتأخذوا منهن بعض ما آتيتوهن بطلبهن الخلع منكم، لمضارتكم إياهن، بإمساككم إياهن، ومراجعتموهن ضاراً

## قواعد التشريع الإسلامي تدرج الإلزام الجزائي العقابي ضمن مجموعة من الإلزامات الأخرى.

واعتماداً. وقوله: ﴿لَتَعْتَدُوا﴾، يقول: لتظلموهن بمجاوزتكم في أمرهن حدودي التي بينتها لكم. (١).

والتشريع المتضمن في الآية يحمله الجزء الأول منها كما هو واضح: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا﴾ البقرة ٢٣١.

ومن العجيب أن الآية أتبعته بخمس وصايا:

أ- ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

ب- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾.

ج- ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾.

د- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

هـ- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وتلك الوصايا الخمس لم تخرج في مجملها عن الترهيب والتحذير والموعظة والتذكير، وجميعها تفرض في النفس رقابة شخصية وخوفاً من مجاوزة الحد، فتنشئ التزاماً من المؤمن بهذا الوحي لا يحتاج فيه إلى رقابة قضائية وقانونية.

ويلاحظ أيضاً أن الإلزام في التشريع الإسلامي - خلافاً للقوانين البشرية - غير ناشئ عن الخوف من العقاب فقط.

### الإلزام والعقاب:

تقدم أن الجزاءات الجنائية في القوانين الوضعية هي العقوبات وتدابير الأمن، والأولى يتم إنزالها كعقوبات على الجرائم، والثانية كحزر ووقاية من وقوعها. وفكرة العقاب (الأخروي) على مجاوزة التشريعات الإسلامية (حدود الله) قائمة أيضاً في نصوص القرآن والسنة، كما هو بين وواضح، ولكن تجدر الإشارة إلى أن الجزاء في التشريع الإسلامي يَصْفُ الجزاء الحسن على التزام التشريعات إلى جانب العقاب على مخالفتها، وهو ما لا يوجد في القوانين الوضعية، وأحياناً قد يكون سبب الإلزام ترغيباً فقط كما في قوله سبحانه وتعالى:

(١) تفسير الطبري ج (٥ / ٧ - ٨).



أسباب الإلزام في كتاب الله، ومثاله

قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ النساء.

روى ابن جرير بسنده عن قتادة في تفسيرها قال: "يقول: من حضر ميتاً فليأمره بالعدل والإحسان، ولينبهه عن الخيف والجور في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفاً على عياله لو نزل به الموت" (٣).

"وقال الكلبي: هذا الخطاب لولاية اليتامى يقول: من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليأت إليه في حقه ما يجب أن يفعل بذريته من بعده" (٤).

وفي تفسير القرطبي: "هذا وعظ للأوصياء، أي افعلوا باليتامى ما تحبون أن يفعل بأولادكم من بعدكم، قاله ابن عباس. ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ النساء: ١٠ (٥).

- تهويل الجرم والتنبيه على عظمته وخطره، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢، فتحويلاً لجرمة القتل وبياناً لبشاعتها جعلت الآية من قتل نفساً واحدة بغير سبب موجب للقتل في حكم من قتل الناس جميعاً، ونفس هذا الوصف يحمل تعظيماً وترهيباً من هذا الجرم مهما كان تفسير ذلك. قال ابن عاشور: "على أن فيه معنى نفسانياً جليلاً، وهو أن الداعي الذي يقدم بالقاتل على القتل يرجع إلى ترجيح إرضاء الداعي النفساني الناشئ عن الغضب وحب الانتقام على دواعي احترام الحق وزجر النفس والنظر في عواقب الفعل من نظم العالم، فالذي كان من حيلته ترجيح ذلك الداعي اللطيف على جملة هذه المعاني الشريفة فذلك ذونفس يوشك أن تدعوه دوماً إلى هضم الحقوق، فكلمة سنحت له الفرصة قتل، ولو دعته أن يقتل الناس جميعاً لفعل" (٦).

## الإلزام في القانون الوضعي يكون بإيقاع الجزاء عن طريق استعمال القوة العامة فقط.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ الثور. فقد شرعت الآية العفو، وجعلت الحامل على فعله رغبة في جزاء لا خوفاً

من عقاب، وهو أن يغفر الله للعبد كما يغفر لمن ظلمه ووقع في عرضه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وهو تمثيل وحجة؛ أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم، وينظم إلى هذا المعنى قوله ﷺ: "من لا يرحم لا يرحم" (١).

وأكثر من ذلك، فإن الإلزام قد يتجاوز أحياناً الجزاء والعقاب إلى أمور أخرى منها:

- الإقناع بفائدة الالتزام للإنسان نفسه كضد كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الثور، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ فيه تنبيه على فائدة الالتزام للشخص نفسه؛ بمعنى أنه "أطهر من دنس الريبة أو أنفع من حيث الدين والدنيا فإن النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية أو الدنيوية ما لا يخفى" (٢).

- الإقناع بفائدة الالتزام لعموم الناس كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ المائدة، وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٦١﴾﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٦٢﴾﴾ النساء. - التنبيه على مآلات الفعل الفاسد ووصية المنهي عنه بتقدير عواقبه وافترض وصول مثل ضرره إليه أو إلى ذريته، وهذا من روائع



(١) تفسير القرطبي - (ج ١٢ / ص ٢٠٨)

(٢) تفسير الألويسي - (ج ١٣ / ص ٤٠٣)

(٣) تفسير الطبري - (ج ٧ / ص ٢٠).

(٤) تفسير البغوي - (ج ٢ / ص ١٧١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن - (ج ٥ / ص ٥١).

(٦) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير - (ج ٤ / ص ١٨٤).

ويضاف إلى أسباب الالتزام شيء آخر ينفرد به التشريع الإسلامي، وهو حصول العلم به والتذكير المستمر بأحكامه وبأسباب الإلزام به لعموم الناس خلافاً للقوانين البشرية.

### التشريع الإسلامي وانتشار المعرفة الواسعة بأحكامه:

لا يعرف قانون من القوانين البشرية يفترض تعلمه على نطاق واسع كقانون المروم لن يريده أن يحصل على رخصة لقيادة سيارة ونحوها، ومع ذلك فقد وجدنا من تعلمه تعلمًا كاملاً في فترة الامتحان سرعان ما ينسى كثيراً من تفاصيله، وكم من الناس يليق به بعد الاختبار وراءه ظهرياً لا يستذكر منه شيئاً إلى قيام الساعة. وأما سائر القوانين الأخرى فإن المختصين فيها والمتعاملين معها تعاملًا مستمرًا كالقضاة والمحامين يحتاجون إلى مراجعة موادها وتفصيلها مراجعةً دائمةً ومستمرةً، وأما عموم الناس فبضاعتهم منها مزجاة، ولعل كثيراً من الناس لا يعلم عنها شيئاً، مع أن استحضارها شيء أساسي في التزامها والعمل بها.

وأما التشريع الإسلامي فإنه ينفرد بخاصة الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولذلك يسمعه العالم والأمي والمختص والعامي، يسمعه يثلى في محاريب الصلاة كل يوم، وعلى المنابر، بل وفي التلاوات الفردية وفي أحاديث الناس، وشخصياً تعاملت مع رجال ونساء لا يقرؤون حرفاً ولا يحسنون كتابة أسمائهم ومع ذلك كانوا يعرفون تفاصيل كثير من الأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية أو الميراث -مثلاً- مما يحتاج إلى مراجعة مثله المختصون في القانون في التشريعات الأخرى.

وهذا التعليم والتذكير الدائم والمستمر المقترن بأسباب الالتزام الإيمانية المذكورة سابقاً ينتج شحنا وشحداً متجدداً لعزيمة الملتزم، وفرصاً متواصلة للرقابة الذاتية، النابعة من عمق القلب، وهو ما لا يتهيأ لأي تشريع من التشريعات الأخرى.

### ٢ - الحاجز الأدبي الاجتماعي:

تقدم أن أول سبب من أسباب الإلزام في التشريع الإسلامي هو الخوف من الله تعالى (الحاجز الإيماني)، ومن تجاوز هذا الحاجز فإنه

## من صور الإلزام الشرعي الحاجز الإيماني والحاجز الاجتماعي والحاجز العقابي.

يواجه حاجزاً آخر وهو الحاجز الأدبي والاجتماعي، وقد وقعت الإشارة إليه في قوله ﷺ في حديث الحلال بين والحرام بين، المذكور سابقاً:

"فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه". أي طلب سلامة دينه من الوقوع في الحرام وسلامة عرضه من أن يتحدث الناس فيه بسوء، ويسمونه بالمعصية والجرأة على حدود الله.

وهذه الإشارة على صغرها واختصارها وقلة ألفاظها تحمل تنبيهاً على مسألة مهمة، وهي أن المخالف للتشريعات الإسلامية يحس بأنه منبوذ بين المؤمنين؛ مما يجعله يقيم حساباً لعواقب فعله على المستوى الأدبي والاجتماعي، حتى ولو كان لا يملك من التقوى والورع ما يجعله يلتزم هذه الأحكام، فهو يلتزمها خوفاً من هذا الجزاء الاجتماعي إذا لم يلتزمها خوفاً من الجزاء الأخرى.

ولعل الأمر قد يبدو من جهة ما غريباً، إذ أنه قد اشتهر عند الناس أن الدين مبني على إخلاص العمل لله، وإذا التزم الإنسان شيئاً خوفاً من الناس فقد جاء بتدين فاسد غير مقبول؟

غير أن المقام هنا ليس مقام تدين ولكنه مقام حفاظ على النظام العام، وهذا الذي يُشكل على كثير من الناس؛ فإن تشريعات الإسلام بالنظر إلى كونها علاقة بين العبد وربّه هي تدين، وبالنظر إلى الإلزام الاجتماعي والعقابي أيضاً هي أحكام قانونية متعلقة بالنظام العام. ولنضرب لذلك مثلاً؛ فالزنا محرم، وتاركه يريد بتركه رضوان الله مأجوراً عند الله، وأما تاركه خوفاً من الحد -ولو افترضنا كونه كافراً-، يكون قد تحقق للمجتمع المصلحة من تركه للفاحشة وإن لم يلتزم ذلك تديناً.



القاضي تخولهما الإصابة في الحكم، فأعطيا صلاحية إمضائه قال ابن العربي: "قوله تعالى: ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلَيْهَا﴾: هَذَا نَصٌّ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَنْهَمَا قَاضِيَانِ لَا

وَكَيْلَانِ، وَلَوْ كَيْلِ اسْمٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَمَعْنَى، وَلِلْحَكَمِ اسْمٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَمَعْنَى" (٤).

"وتفريقهما جائز على الزوجين، وسواء وافق حكم قاضي البلد أو خالفه، وكُلُّهُمَا الزوجان بذلك أو لم يوكلاهما. والفراق في ذلك طلاق بائن" (٥).

قال القرطبي: "فإن لم يوجد من أهلها من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما عدلين عالمين، وذلك إذا أشكل أمرهما ولم يدر ممن الإساءة منهما.

فأما إن عرف الظالم فإنه يؤخذ منه الحق لصاحبه ويجبر على إزالة الضرر، ويقال: أن الحكم من أهل الزوج يخلو به ويقول له: أخبرني بما في نفسك أتوها أم لا حتى أعلم مرادك؟ فإن قال: لا حاجة لي فيها خذ لي منها ما استطعت وفرق بيني وبينها، فيعرف أن من قبله النشوز.

وإن قال: إني أهواها فأرضها من مالي بما شئت ولا تفرق بيني وبينها، فيعلم أنه ليس بناشر.

ويخلو الحكم من جهتها بالمرأة ويقول لها: أتوهي زوجك أم لا؟ فإن قالت: فرق بيني وبينه وأعطه من مالي ما أريد، فيعلم أن النشوز من قبلها.

وإن قالت: لا تفرق بيننا ولكن حشه على أن يزيد في نفقتي ويحسن إلي، علم أن النشوز ليس من قبلها.

فإذا ظهر لهما الذي كان النشوز من قبله يقبلان عليه بالعضة والزجر والنهي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلَيْهَا﴾ (١).

## ينفرد التشريع الإسلامي بخاصية الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ولذلك يعرفه كثير من الناس.

وبناء على ما سبق يظهر الخطأ والمغالطة المتكررة الصادرة عن فريقين متضادين من الناس: -الفريق الأول يريد أن يحشر الدين فيما يشبهه الطقوس المسيحية الرهبانية التي لا علاقة لها بالدين.

-والفريق الثاني يختصر تطبيق الشريعة الإسلامية في مجموعة الأحكام الجزائية (الحدود والتعازير).

وهذا الجزاء الأدي والاجتماعي قد يكون تلقائيا كالمشار إليه في الحديث وهو وقوع الناس في عرض المواقع للشبهات أو المحرمات.

وقد يكون ناشئا عن سبب ديني، وعلى هذا يحمل تغيير المنكر بالقلب الذي جاء في الحديث المشهور: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (١).

وقد يكون عقوبة صادرة بأمر من ولي الأمر تأديبا، كالذي حدث لكعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة العسرة، فأمر النبي ﷺ أصحابه بهجره، حتى اعتزلته زوجته، وأقام مدة من الدهر لا يكلمه أحد، ثم أنزل الله سبحانه وتعالى توبته. (٢).

وإننا نلاحظ بعدا اجتماعيا آخر لا يوجد إلا في التشريع الإسلامي، وهو الاستعاضة عن التحكيم القضائي السلطوي بتحكيم اجتماعي أقرب إلى الإصلاح والإحاطة بحقائق الأشياء، وأقدر على معرفة خبايا العلاقات الأسرية في حالة تنازع الزوجين ووقوع الشقاق بينهما، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلَيْهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٣).

ومعنى الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ يعني مشاققة كل واحد منهما من صاحبه، وهو إتيان ما يشق عليه من أمور، أما من المرأة فنشوزها عنه وترك ما لزمها من حقه، وأما من الزوج فعدوله عن إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، والشقاق مصدر من قول القائل شاق فلان فلاناً إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه بما يشق عليه، وقيل لأنه قد صار في شق بالعداوة والمباعدة: ﴿فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلَيْهَا﴾ (٣).

والحكمان هنا بصورة استثنائية ليسا قاضيين ولا وكيلين لولي الأمر، ولكن قرابتهما وقدرتهما على الاطلاع على ما لا يطلع عليه

(١) صحيح مسلم ح (٤٩).

(٢) أنظر صحيح البخاري ح (٤٤١٨).

(٣) الماوردي، النكت والعيون - (ج ١ / ص ٢٩٦).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي - (ج ٢ / ص ٣٤٧).

(٥) تفسير القرطبي - (ج ٥ / ص ١٧٦).

(٦) المصدر نفسه - (ج ٥ / ص ١٧٥-١٧٦).

## الجزء في التشريع الإسلامي يَصِفُ الجزء الحسن على التزام التشريعات إلى جانب العقاب على مخالفتها.

إرهابيون نشؤوا داخل البلد، وعدد كبير هم مهاجرون غير شرعيين. في الفترة ما بين ١٩٨٩م إلى ٢٠٠٢م شهدت أمتنا العظيمة العدد المخجل المتمثل في ١٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جريمة ضد مواطنينا والعديد من الجرائم غير معدودة ضمنها لأنه لم يتم التبليغ عنها".

إن كاتب أو كتاب هذا النص يسجلون عجز النظام القانوني العقابي عن محاربة الإجرام ويدعون إلى تشديد الأحكام وتفعيل النظام القضائي. ولكننا نقول أن النظام العقابي لا يمكن أن يردع إلا فئة قليلة شاذة في المجتمع؛ ولذلك وجدنا التشريعات العقابية في الإسلام، بل النص على تحريم بعض الجرائم لم يأت إلا في أواخر عهد النبوة بعد نشأة دولة الإسلام وتجذره في قلوب الناس وأعمالهم.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ (من القرآن) سُورَةُ مِنَ الْمُفْصَلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَأَسْرَبُوا الْحَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدْعُ الْحَمْرَ أَبَدًا وَلَوْ نَزَلَ لَا تَرْتُونَا لَقَالُوا لَا نَدْعُ الزَّانَا أَبَدًا" (١).

فهذا الأثر فيه تنبيه على أن النهي عن بعض الفواحش لم يأت مباشرة بعد الوحي إلى النبي ﷺ، وإنما تأخر إلى أن استعد الناس لتلقي الأحكام الشرعية بالقبول، بعد أن تجذر الإيمان في قلوبهم، ولو أن النبي ﷺ أمر بتركها في أول الإسلام لقالوا لا ندعها أبداً.

وعامة آيات الحدود والعقوبات جاءت في السور المدنية، وذلك يؤكد ما ذكر سابقاً من أن مبدأ التزام الأحكام الشرعية في الإسلام قائم على التقوى والورع، وإن كان لا يقف عند هذا الحد، ولكن يرد إلى الحق بالسلطان من لم يرتد إليه بالقرآن.



(١) صحيح البخاري ح (٤٧٠٧).

وخاصية تحكيم الصالحين والفقهاء وأهل الإصلاح من الأقارب، لها بعد اجتماعي انفراد به التشريع الإسلامي بما يميزه من البعد الديني الروحي ومن المرونة والقدرة على الإصلاح.

### ٣ - الحاجز العقابي القانوني:

وإذا تجاوز الإنسان الحاجز الإيماني ثم الحاجز الأدبي فعند ذلك يواجه الحاجز الأخير وهو حاجز الخوف من العقاب الديني العاجل، وهو ما عبر عنه الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بقوله: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

وهذا الحاجز العقابي هو فقط ما يملكه القانون الوضعي البشري من إلزام، مما يجعله متخلفاً بصورة كبيرة عن التشريع الإسلامي، وذلك أن العقوبات المادية لا تكفي وحدها في الإلزام بالتشريعات والأحكام. وللتدليل على ذلك أخذنا واقع الجرائم في أقوى دولة من الناحية التكنولوجية والمادية والتي صارت رمزا للتطور في هذا العصر، أعني الولايات المتحدة الأمريكية.

جاء في موقع "Crime in America" ما ترجمته

- في أمريكا، ما زالت ساعة الجرائم في دوران: جريمة قتل كل ٢٢ دقيقة، اعتداء كل ٥ دقائق، سرقة كل ٤٩ ثانية، وكسر وتسلسل للبيوت كل ١٠ ثواني.

- الأمريكيون خائفون، وقد أصبحوا غاضبين. لقد جعل الارتفاع في جرائم العنف نصف المواطنين يشعرون بالخوف من السير في الطرقات أمام بيوتهم، ولقد غدى هذا الخوف النداء لإنهاء مجال القتل في أمريكا.

- في الأشهر الأخيرة، بعض الأمريكيين الغافلين تعرضوا لهزة عنيفة في شعورهم الخادع بالأمن حين رأوا مجرمين يكتسحون أمامهم كل مكان آمن؛ حيث كانوا يحسون بأنهم سالمون.

- ضحايا الجرائم يجدون أنفسهم متجاهلين من طرف منفذي الأحكام، وتائهين في نظام المحاكم. نحو من ثلاثة عشر مليون شخص في الولايات المتحدة يتعرضون لجرائم كل سنة، ونحو من مليون ونصف تقريبا هم عرضة لجرائم عنيفة.

- منذ سنة ١٩٦٠م رأينا معدل الإجرام في أمريكا يتضاعف أكثر من ٣٠٪، وما زالت أقسام الشرطة تقوم باعتقال المجرمين وتقوم المحاكم بإطلاق سراحهم. عدد كبير من هؤلاء المجرمين

بالجاني وبجريمته، فقد جاء في حد الزنا: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> الثور. وقصد التشهير

هنا جلي، وهو أيضا واقع في حد

السرقه لأن اليد المقطوعة وصمة عار ملازمة لصاحبها، وذلك كفيل بكتم المرغبات في الجريمة في نفسه وتقديره لعواقب فعله.

وأما البعد الردعي فهو تحذير غيره من مثل عقوبته، والحيلولة بينه وبين نقل عدوى الجريمة لغيره، وقد جاءت في القرآن الكريم إشارة طريفة لمثل هذا المعنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَّأُوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> البقرة .

وذلك أن القصاص في النفس قتل، ولكن الآية جعلته سببا للحياة لأنه وإن أدى إلى إزهاق نفس واحدة ظاهرا فإن تركه سيؤدي إلى إزهاق أنفس كثيرة.

## الخلاصة: نخلص من هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- إن انتشار العدوان على الأنفس والأموال والأعراض وانتشار ترويع الأمنين من بسطاء الناس، ينطبق بعجز الأنظمة القانونية عن الحد من الإجرام الذي أصبح ظاهرة متنامية يوماً بعد يوم.

٢- يزعم القانونيون أن إلزام القواعد القانونية هو الخصيصة التي تميزها عن قواعد الأخلاق والدين، وتبرز خاصة الإلزام في الجزاء الذي يوقع على من يخالف تلك القاعدة القانونية، والمقصود بالجزاء رد الفعل أو العقاب أو الإجبار على الالتزام والاحترام عن طريق استعمال القوة العامة المتمثلة في وظيفة السلطة العامة للدولة فيقوم بالتنفيذ رجال الدرك والشرطة عند اللزوم.

٣- دلَّ حديث الحلال بين والحرام بين، على أن للإلزام في التشريع الإسلامي أبعاداً ثلاثة:

الأول: البعد الديني ممثلاً في التقوى والخوف من موافقة الحرمات، وإليه الإشارة بـ"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

(١) سنن ابن ماجه، ٧/ ٤٣٩، قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله الحديث له طرق فيها

ضعف لكن مجموعها يشد بعضه بعضاً، ويكون من باب الحسن لغيره؛ ولهذا احتج بها

العلماء على دره الحدود بالشبهات.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم ح (١٦٢٢).

## علاج الإسلام للإجرام ليعتمد على العقوبة الحدية فقط ولكنه جزء من منظومة كبرى

كما تجدر الإشارة إلى أن الحدود والعقوبات في الإسلام هي تنويج لجملة من الإجراءات الاحترازية الأخرى.

## النظام العقابي في الإسلام والإجراءات الاحترازية:

كما تقدم، فعلاج الإسلام للإجرام لا يعتمد على العقوبة الحدية فقط، ولكنه جزء من منظومة كبرى، وفي الغالب يهيئ الإسلام للإنسان أسباب اجتناب الجرائم، ويوفر له بدائل، فإذا وقع في الجريمة أنزلت به العقوبة ردعا له ولغيره، وإذا لم تتوفر هذه البدائل لم ينفذ الحد. ولذلك جاء الأمر بدفع الحدود بالشبهات. كما في الحديث الذي روي عن عائشة رضي الله عنها قوله ﷺ: "ادروا الحدود بالشبهات"<sup>(١)</sup>.

ولنضرب لذلك مثلاً بجريمة الزنا، فإن الإسلام حين حرمها حرم مقدماتها، فجاء في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> الإسراء .. والنهي عن

الاقتراب من الزنا يعني النهي عن مقدماته، وقد سمي رسول الله ﷺ المقدمة باسم النتيجة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّنَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبُطْشُ وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخَطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفُرْجُ وَيَكْذِبُهُ"<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أن من نظر إلى امرأة لا تحل له بشهوة أو استمع إلى ما لا يحل فإن الحد لا يطبق عليه، ولكن تسمية المقدمة باسم النتيجة فيها تحذير مما يوصل إليها ويجعل اجتناب الجريمة أسهل.

ويصاحب هذا النهي منظومة كاملة من كواتم المثيرات بالأمر بضرب الخمار على الجيب، وعدم إبداء الزينة، وترك الخضوع بالقول، وعدم الضرب بالأرجل، وتحريم التبرج والتعطر، والخلو بالاجنبية، والترغيب في الزواج... فإذا اجتمعت هذه الأسباب كلها يكون الطالب للمعصية منحرفاً مريض النفس، لا يصلحه وأمثاله إلا العقاب.

والعقاب في الإسلام ذو بعدين: بعد تأديبي للجاني وبعد ردعي لغيره.

## بعد العقاب في التشريع الإسلامي:

يتجلى البعد التأديبي للعقاب في التشريع الإسلامي في أنه يشهر

تدين، وبالنظر إلى الإلزام الاجتماعي والعقابي أيضا هي أحكام قانونية متعلقة بالنظام العام.

## تشريعات الإسلام هي تدين، وهي أحكام قانونية متعلقة بالنظام العام.

٩- هذا الجزاء الأدبي والاجتماعي قد يكون تلقائيا كالمشار إليه في حديث الحلال بين والحرام بين وهو وقوع الناس في عرض المواقع للشبهات أو المحرمات. وقد يكون ناشئا عن سبب ديني وعلى هذا يحمل تغيير المنكر بالقلب الذي جاء في الحديث المشهور: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"، وقد يكون عقوبة صادرة بأمر من ولي الأمر تأديبا، كالذي حدث لكعب بن مالك رضي الله عنه لما تخلف عن غزوة العسرة.

١٠- هناك بعد اجتماعي آخر لا يوجد إلا في التشريع الإسلامي، وهو الاستعاضة عن التحكيم القضائي السلطوي بتحكيم اجتماعي أقرب إلى الإصلاح والإحاطة بمقتضى الأشياء وأقدر على معرفة خبايا العلاقات الأسرية في حالة تنازع الزوجين ووقوع الشقاق بينهما.

١١- إذا تجاوز الإنسان الحاجز الإيماني ثم الحاجز الأدبي فعند ذلك يواجه الحاجز الأخير وهو حاجز الخوف من العقاب الدنيوي العاجل، وهو فقط ما يوجد في القوانين البشرية، مما يجعل التشريع الإسلامي متفوقا في هذا المجال بما لا وجه فيه للمقارنة.

١٢- النص على تحريم بعض الجرائم لم يأت إلا في أواخر عهد النبوة بعد نشأة دولة الإسلام وتجذره في قلوب الناس وأعمالهم، وعمامة آيات الحدود والعقوبات جاءت في السور المدنية.

١٣- مبنى التزام الأحكام الشرعية في الإسلام قائم على التقوى والورع، وإن كان لا يقف عند هذا الحد، ولكن يرد إلى الحق بالسلطان من لم يرتد إليه بالقرآن.

١٤- الحدود والعقوبات في الإسلام هي تنويج لجملة من الإجراءات الاحترازية الأخرى، وعلاج الإسلام للإجرام لا يعتمد على العقوبة الحدية فقط، ولكنها جزء من منظومة كبرى.

١٥- للعقاب في التشريع الإسلامي بعدين: بعد تأديبي للجاني وبعد ردعي لغيره.

"تم البحث ولله الحمد والمنة"

الثاني: البعد الاجتماعي: وإليه الإشارة ببراءة العرض - أي السمعة - في قوله ﷺ: "استبرأ لدينه وعرضه".

الثالث: البعد العقابي ممثلا في الحدود والتعازير المنصوص عليها بالبيان والتفصيل أو على وجه العموم والإطلاق.

٤- البعد الإيماني يجعل ملايين من الناس في شتى أنحاء العالم يتورعون عن الجرائم حتى وهم لا يخافون العقوبة القانونية عليها؛ لأنها غير مجرمة في قوانين بعض الدول، بل في ثقافات بعضها الترغيب فيها والحث عليها.

٥- بعض القوانين والتشريعات التي لا يمكن أن تفرض في غير التشريع الإسلامي؛ لأن الرقابة المدنية عليها غير ممكنة.

٦- الجزاء في التشريع الإسلامي يَصْفُ الجزاء الحسن على التزام التشريعات إلى جانب العقاب على مخالفتها، وهو ما لا يوجد في القوانين الوضعية، وأحيانا قد يكون سبب الإلزام ترغيبا فقط، قد يتجاوز أحيانا الجزاء والعقاب إلى أمور أخرى منها: الإقناع بفائدة الالتزام للإنسان كفرد وللجماعة، والتنبيه على مآلات الفعل وعلى عظمة الجرم ....

٧- ينفرد التشريع الإسلامي بخاصية الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولذلك يعرفه العالم والأمي والمختص وغير المختص، ويسمعونه يُتلى في محاريب الصلاة كل يوم وعلى المنابر، بل وفي التلاوات الفردية وفي أحاديث الناس.

من تجاوز الحاجز الإيماني فإنه يواجه حاجزا آخر وهو الحاجز الأدبي والاجتماعي، وقد وقعت الإشارة إليه في قوله ﷺ في حديث الحلال بين والحرام بين المذكور سابقا: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه". إذ أن المخالف للتشريعات الإسلامية يحس بأنه منبوذ بين المؤمنين مما يجعله يقيم حسابا لعواقب فعله على المستوى الأدبي والاجتماعي، حتى ولو كان لا يملك من التقوى والورع ما يجعله يلتزم هذه الأحكام، فهو يلتزمها خوفا من هذا الجزاء الاجتماعي إذا لم يلتزمها خوفا من الجزاء الأخروي.

٨- تشريعات الإسلام بالنظر إلى كونها علاقة بين العبد وربيه هي

# لغتنا لا عجمنا الخالدة

أ.د. محمد جميل الحبال

استشاري الطب الباطني والباحث في التفسير الطبي  
في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١﴾ يُوسف، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ الزُّخْرَف، وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ ﴿٣﴾ الشُّورَى، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ ص .

القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين للناس جميعاً، وهو رحمة للعالمين، فيجب أن تكون لغته عالمية ، وحتى نفهم القرآن الكريم يجب علينا أن نكون متقنين للغة العربية، سواء كنا عرباً أو غير عرب، وذلك كي نفهم أوامر ديننا من المعين الأساس - القرآن والحديث - وحتى نتذوق الأسلوب البلاغي القرآني، ونفهم بيانه الرائع وإيقاعه الموزون، والذي يُفقد عند ترجمة معانيه إلى أي لغة أخرى، وكذلك لكي ندرك مقاصد التعبير القرآني في الآيات، ونفهم المصطلحات الكونية التي فيها إشارات علمية لمختلف التخصصات المعرفية؛ لأن الباري الذي خلق الكون والإنسان ويعلم أسرارهما، يكون وصفه لما خلق في غاية الدقة والعلمية، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿٥﴾ الفرقان.

هذا وقد أودع الله عز وجل كتابه الكريم أساسات العلوم، فقال تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٦﴾ النساء. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٧﴾ النحل. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين (١).

(١) ذكره الخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه (ج١ ص٨٢).



وقال الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن): "إن كتاب الله العزيز قد اشتمل على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس فيها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها".<sup>(١)</sup>

فنحن في عصر العلم والتقدم المعرفي، وإذا أردنا الإمساك بزمام ذلك فعلينا أولاً إتقان اللغة العربية؛ حتى نفهم مقاصد كلمات وآيات القرآن الكريم وفق قواعد اللغة العربية السليمة، وتتجه نحو البحوث التجريبية والتطبيقية بموجبها، مع توظيف ما توصلت إليه التكنولوجيا ووسائل العلم والمعرفة للإفادة منها، للتوصل إلى ما ينفع البشرية من اكتشافات، علماً بأن اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) هي لغة العلم، وهي اللغة الكونية،

وقيل هي اللغة التي تكلم بها سيدنا آدم عليه السلام اللغة العربية (أم اللغات)، كما قرره الأستاذ الدكتور سعيد الشريبي (أستاذ علم اللغة الكوفي - جامعة لندن)؛ حيث توصلت الأبحاث المستفيضة هناك مؤخراً أن جميع اللغات تفرعت منها، وأن هذه اللغات ستزول مع مرور الزمن وستبقى اللغة العربية هي اللغة الخالدة؛ ولذلك بدأوا يكتبون وثائقهم وأبحاثهم المهمة باللغة العربية، خشية عدم فهمها مستقبلاً من قبل الأجيال القادمة، إذا كتبت بلغتهم الحالية<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>، وقد حفظ الله عز وجل اللغة العربية بحفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup> الحجر، وقد يسأل سائل كيف وصل الغرب إلى مراكز العلم المتقدمة، وأمستك بزمام العلوم والمعرفة، وحقق الإنجازات والاختراعات والاكتشافات التي نفعت البشرية؟ وهل كان للقرآن الكريم واللغة العربية دور في ذلك؟ نقول نعم؛ لأن المراحل العلمية التي وصل إليها الغرب وغيره من الدول المتقدمة لم تأت من فراغ أو بدأت من عنده فقط، وإنما جاءت عبر تراكم هذه العلوم وتطورها لأجيال متعددة، ومن أهمها علوم الحضارة العربية الإسلامية، التي كان لها الفضل



الكبير في تطور هذه العلوم وإيصالها إلى الغرب، والذي أفاد منها وبنى عليها حضارته، وقد كان العلماء من العرب والمسلمين أول من اتبع الأسلوب العلمي والبحثي (التجربة والخطأ) في النظر في الكون، ودراسة قوانينه وتسخيرها للبشرية؛ حيث أوصى القرآن الكريم بذلك في عشرات الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَسِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup> العنكبوت، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالْذُرُّ عَنِ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup> يونس، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٧)</sup> الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِيَمًا

عَدَابَ النَّارِ﴾<sup>(٨)</sup> آل عمران، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا وَمِنَ كُلِّ الْأَشْجَارِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٩)</sup> الرعد، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ هِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْتَلَفَ الْأَلْوَانُ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنَ فُطْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾<sup>(١١)</sup> الروم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> البقرة. وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١٣)</sup> الحديد، وقوله تعالى: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ

(١) الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٢٩، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية [www.m-arabc.com](http://www.m-arabc.com)

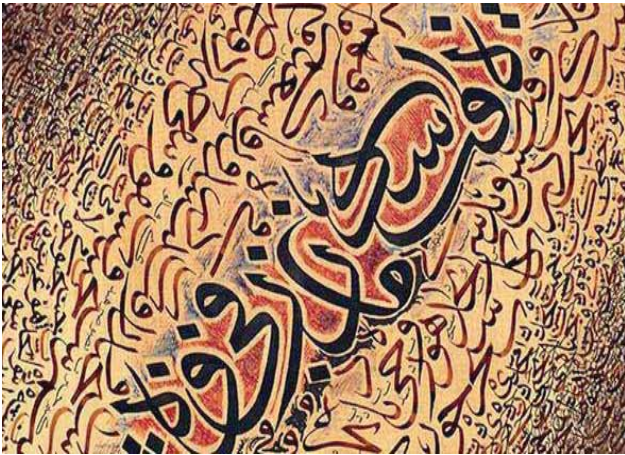
(٣) استشراف العربية في ظل علم اللغة الكوفي / د. أحمد علي لقم جامعة الأمير

سطوم بن عبد العزيز - المملكة العربية السعودية



من القرن الماضي كان ضمن وفد من الطيارين العراقيين البارزين في زيارة علمية ومهنية، إلى معهد أبحاث القوة الجوية في الولايات المتحدة الأمريكية، وعند زيارتهم لقسم أبحاث الطيران، تعرفوا فيه على شخص مسلم من نيجيريا يتكلم اللغة العربية الفصحى، ويحفظ القرآن الكريم، وعندما سألوه عن وظيفته وسبب وجوده هناك، قال إنه يعمل في المعهد لاستنباط العلوم الخاصة بالطيران من القرآن الكريم، بما يفيد أبحاثهم وتطويرها.

فمن هذا المنطلق يستوجب على المسلمين عامة والعرب خاصة، الاهتمام باللغة العربية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (١) الرُّحُف. وأن يسهلوا على أبنائهم وأجيالهم تعلمها، وإتقانها وابتكار الوسائل المناسبة والعملية السهلة لتعلمها، واستشارة الخبراء في هذا المجال؛ لتحقيق ذلك. وتجنب التعقيدات في تعليمها، والتي صدت كثيرا من الناس عنها وعن تعلمها، فضلا عن إتقانها والإفادة من التقنيات الحديثة للتوصل إلى هذا الهدف في فهم مقاصد الآيات ذات الإشارات العلمية، حيث بلغ عددها أكثر من ١٢٠٠ آية، أي بنسبة ٢٠٪ من مجموع آيات القرآن الكريم التي بلغ تعدادها ٦٢٣٦ آية (١)، والإفادة من الآيات العلمية في تحقيق السبق العلمي لمنفعة البشرية، والدعوة إلى هذا الدين القويم عن طريق العلم والمعرفة، والحكمة والموعظة الحسنة، والله الموفق.



(١) العلوم في القرآن، د محمد جميل الحبال، ود. مقداد الجوّاري، دار النفائس، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ البقرة.

والآيات في ذلك كثيرة، فضلا عن أن أول آيات التنزيل على المصطفى ﷺ أمرته وأمرت أمته من بعده بالقراءة والتعلم، والأخذ بأسباب العلم بالإشارة إلى القلم، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ العلق.

فأنشأ القرآن الكريم بذلك القاعدة العلمية التي انطلق منها هؤلاء العلماء والباحثون، فأجادوا وابدعوا، مستفيدين من فهمهم الدقيق للغة القرآن الكريم (العربية)، التي أنارت لهم الطريق للتقدم العلمي، فكانت في زمانهم لغة العلم والعالم، ولكن عندما ابتعد المسلمون عن روح القرآن العلمية، والعمل به تخلفوا، وأخذ الغرب منهم زمام المبادرة، واجتهد وعمل وفق النواميس الكونية، فحصل على التقدم والإبداع، قال تعالى: ﴿كَلَّا تُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٥٠﴾﴾ الإسرائ.

فالغرب فهم كثيرا من السنن الكونية وعمل بها، وتوصل إلى معرفتها من خلال أبحاثهم وتجاربهم؛ فحققوا الكثير من الإنجازات كما قلنا، ولا يزال الغرب يفيد ويحاول أن يستفيد مما استنبطه المسلمون من علوم القرآن الكريم، بما ينفعه في تقدمه، لأن القرآن كلام الله الحق وكله حق وصدق، قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلْنَا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥١﴾﴾ الإسرائ، ولا توجد فيه أي آية تعارض حقيقة علمية، كما قرر ذلك الاستاذ الدكتور موريس بوكاي في كتابه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلوم)، حيث قال في ص ١٣: (إن القرآن الكريم لا يحتوي على مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث). وهذا مصداق لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥٢﴾﴾ سبأ.

وتحضرني هنا حادثة مهمة رواها لي الطيار حسن خضر رحمه الله -وهو من قادة وأبطال سلاح الجو العراقي- عن معرفة الغرب بأحقية القرآن الكريم والإفادة من علومه؛ حيث ذكر لي أنه في الثمانينيات

# الحطام والهشيم في عالم النبات

ورد ذكر تحول النبات إلى حطام وهشيم في عدد من الآيات الكريمة، وقد حاول الباحث إظهار جوانب من التفسير العلمي للآيات من خلال إشارات القرآن الكريم إلى تلك الظاهرة، مبيناً أن سبب التحطم والتهشم هو ترسب مادة السيلكا في النبات، والتي لم يبدأ البحث فيها إلا في بداية القرن التاسع عشر، كما أنّ تلك الأبحاث لم تشهد الاهتمام المطلوب إلا في منتصف القرن العشرين.

د. محمد طاهر محمد موسى،

أخصائي البيئة النباتية - قسم علوم الحياة  
كلية العلوم - جامعة الإمارات العربية المتحدة

## ١- الحطام:

(أ) ذكر الله الحطام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٥﴾ الزُّمَرِ .  
 يخبر تعالى: أن أصل الماء من السماء كما قال عز وجل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ الفرقان: ٤٨، فإذا أنزل الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيوناً ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾، قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾، فمن سره أن يعود الملح عذباً فليصعبه، وكذا قال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي أن كل ماء في الأرض فأصله من السماء، وقال سعيد بن جبيرة أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾، أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائح ومنافعه ﴿ ثُمَّ يَهِيَجُ ﴾ أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفراً قد خالطه اليبس ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا ﴾ أي ثم يعود يابساً يتحطم ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء والشباب يعود شيخاً هرمًا كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زرعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً كما قال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الكهف (١).

(١) تفسير ابن كثير.

المتدبر في آيات القرآن الكريم يجد ورود كلمتي الحطام والهشيم مع آيات النبات في أكثر من موضع من كتاب الله، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٥﴾ الزُّمَرِ، وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾ وَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاعُونَ ﴿١٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١٥﴾ الواقعة، وقال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُمْ وَتَفَاخُرُهُمْ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٥٠﴾ الحديد، وقال تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الكهف، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ يُونُسَ .  
 ولكل منها دلالات ومغزى، فالنباتات النجيلية (grasses) هي الزروع المنتشرة والمذكورة في الآيات الكريمة: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾ لها قدرة كبيرة على ترسيب كميات كبيرة من البلورات الحجرية في خلايا بشرة النبات، وفى بعض أجزاء من الجذر الخلوية، وهى عبارة عن السيلكا (silica) ورمزها الكيميائي SiO2 (مكونات الزجاج) وتسمى بلورات حجرية (phytolith) or (plant stones) وهى ترسيبات ميكروسكوبية تتراوح بين 5 - 100 ميكرون، كما أن المتدبر يجد أسباب ذكر الحطام في آيات مرتبطة بالينابيع قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴿١٥﴾ الزُّمَرِ، وبالغيث قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ الحديد: ٢٠،

”**كل لفظ في القرآن الكريم دلالة لا يمكن  
لفظ غيره أن يعبر عنها.**“

الكهولة فتتغير طباعه ، ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى قليل الحركة ، يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى : ﴿ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (٢٤) ، ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال : ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ (٢٥) الحديد ، أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا ما هذا وإما هذا : إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ الحديد : ٢٥ ، أي هي مَتَاعٌ فَإِنَّ غَارًا لِمَنْ رَكَنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَغْتَرِبُهَا وَتُعْجِبُهُ حَتَّى يَعْتَقِدَ أَنَّ لَا دَارَ سِوَاهَا وَلَا مَعَادَ وَرَاءَهَا وَهِيَ حَقِيرَةٌ قَلِيلَةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ . قال ابن جرير حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها " (٢) اقرءوا : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ " الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك " (٣) ، انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري عن الأعمش به ، ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات ويحصل له الثواب والدرجات (٤) .

(١) أنظر: تفسير ابن كثير.

(٢) صحيح مسلم ح (٩١٤).

(٣) صحيح البخاري ح (٦٤٨٨).

(٤) تفسير ابن كثير.

(ب) وفي ذكر قدرة الله تعالى : على إنبات الزرع ولو شاء لأهلكه قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٢٦) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿ ٢٧ ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ الواقعة .

يقول تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها . ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ﴾ أي تنبتونه في الأرض ﴿ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ أي بل نحن الذي نقره قراره وننبتة في الأرض .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما أي لأبيسنه قبل استوائه واستحصاده ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ (١) .

(ج) وفي وصف الحياة الدنيا قال تعالى : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَرِيثَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ (٢٩) الحديد .

يقول تعالى : موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَرِيثَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ ، أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا كما قال تعالى : ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ (٣٠) آل عمران ، ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال " كمثل غيث " وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنُطُوا ﴾ الشورى : ٢٨ . وقوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك ، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ، ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ أي يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ، ثم يكون بعد ذلك كله حطاما ، أي يصير يبسا متحطما هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء ، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الأعطاف بهي المنظر ، ثم إنه يشرع في

## ٢- الهشيم والحصيد:

”النباتات النجيلية لها قدرة على ترسيب كميات كبيرة من مادة السيلكا.“

ذكر الله تعالى الهشيم في قوله:

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾

أَنْزَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الكهف، يقول تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ﴾ يامحمد للناس مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿كَمَا﴾ أَنْزَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴿أَي مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ فَشَبَّ وَحَسَنَ وَعَلَاهُ الزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنُّضْرَةُ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ﴾ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا يَبَسًا ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أَي تَفْرُقُهُ وَتَطْرَحُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ أَي هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ، وَهَذِهِ الْحَالِ، وَكَثِيرًا مَا يَضْرِبُ اللَّهُ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِهَذَا الْمِثْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ أَنْزَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴿يُونُسَ: ٢٤﴾ وَقَالَ فِي الزَّمْرِ: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ﴿١١﴾ الزَّمْرُ، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴿٥٠﴾ الْحَدِيدُ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ "الدنيا حلوة خضرة" (١).

وذكر الله تعالى الحصيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ أَنْزَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ يُونُسَ .

ضرب الله تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجته الله من الأرض، بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ أَي زِينَتَهَا الْفَانِيَةَ ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ أَي حَسَنَتْ بِمَا خَرَجَ فِي رِبَاهَا مِنْ زَهْرٍ نَضْرَةٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ الَّذِينَ زَرَعُوهَا وَغَرَسُوهَا ﴿أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أَي عَلَىٰ جِذَائِهَا وَحِصَادِهَا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهَا صَاعِقَةٌ أَوْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ بَارِدَةٌ فَأَيِسَتْ أَوْ رَاقَهَا

وأتلفت ثمارها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَتْنَهَا

أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾،

أَي يَبَسًا بَعْدَ الْخُضْرَةِ وَالنُّضْرَةِ ﴿كَأَن

لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾، أَي كَأَنَّهَا مَا كَانَتْ حِينًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ، كَأَن لَّمْ تَنْعَمْ وَهَكَذَا الْأُمُورُ بَعْدَ زَوَالِهَا كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ "يُؤْتِي بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِيغْمَسُ فِي النَّارِ غَمْسَةً، فَيَقَالُ لَهُ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَبَكْ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ لَا، وَيُؤْتِي بِأَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا فِيغْمَسُ فِي النَّعِيمِ غَمْسَةً، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ لَا (٢)، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾، أَي نُبَيِّنُ الْحُجُجَ وَالْأَدْلَةَ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فَيَعْتَبِرُونَ بِهَذَا الْمِثْلِ فِي زَوَالِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِهَا سَرِيعًا، مَعَ اغْتِرَارِهِمْ بِهَا وَتَمَكُّنِهِمْ وَتَقَتُّمِهِمْ بِمَوَاعِيدِهَا، وَتَفَلَّتْهَا عَنْهُمْ فَإِنَّ مِنْ طَبْعِهَا الْهَرَبَ مِنْ مَنْ طَلَبَهَا، وَالطَّلَبَ لِمَنْ هَرَبَ مِنْهَا، وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ الدُّنْيَا بِنَبَاتِ الْأَرْضِ فِي غَيْرِهَا آيَةً مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ أَنْزَلْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الْكَهْفُ، وَكَذَا فِي سُورَةِ الزَّمْرِ وَالْحَدِيدِ يَضْرِبُ اللَّهُ بِذَلِكَ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

## جوانب من التفسير العلمي للآيات:

ترسيب السيلكا في النبات ودوره في تحطمه:

يلاحظ أن أهم عناصر تترسب في النبات ولها خصائص التحطم هي السيلكا، والتي تتواجد في النبات في صور بلورات حجرية (phytolith)، وهي من أهم مكونات الزجاج، وتترسب في أماكن محددة بأوراق النبات، خصوصا نباتات ذوات الفلقة الواحدة مثل الشعير والقمح والذرة وتكون بنسبة أعلى في حالة توفر الماء؛ حيث تصل النسبة إلى أكثر من ١٠٪ من المادة الجافة (Dry matter).

## أولاً: الحطام:

عند النظر في آيات سور الزمر والواقعة والحديد وتحديد قوله تعالى ﴿حُطَّامًا﴾ التي وردت في الآيات الثلاث نجد أن النباتات المذكورة

(١) صحيح مسلم ح (٧١٤٤).

(٢) صحيح مسلم، من حديث أنس بن مالك ح (٢٨٠٧).

فإن نسبة السيلكا في نباتات التربة الرملية أعلى منها في غيرها، والمقصود هنا الحديث عن تربة رملية في جميع الحالات.

## بين القرآن الكريم أنه باختلاف مصادر السقيا تختلف مراحل نمو النبات.

هنا هي الزروع (النجليات كالمقمح والشعير)، ولها قدرة عالية على ترسيب السيلكا، حماية لها من الظروف المناخية السيئة، حيث تعطىها قوة ومرونة ومقاومة للأمراض والآفات.

ترسيب السيلكا يتحدد بمجموعة من العوامل أهمها:

### ١- نوع النبات:

النجليات<sup>(١)</sup> ومنها القمح والشعير، وهما الأساس في قوت البشر، ولها قدرة عالية على الترسيب في جميع أجزاء النبات، من أوراق وسيقان حيث تمتص السيلكا في صورة حمض السيليكيك  $SiO_2(OH)_4$  الذائب في التربة، وهى مذكرة صراحة بالزرع كما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ (٥٧) يُوسُفُ، تجعل النبات بعد جفافه يتحطم وخصوصا عندما توجد بكمية كبيرة، وتحرر هذه البلورات الحجرية المكونة من السيلكا من أنسجة النبات وتسقط على الأرض، ولكل نوع من النجليات بلورات مميزة ويتم الترسيب في أماكن مختلفة من الخلية.

### ٢- نوع الماء:

وهو ضروري لإتمام دورة حياة النبات، وخصوصا في زراعة المحاصيل، مثل القمح والشعير، وهنا نلاحظ دقة البيان في وصف الماء الذي نزل من السماء وتشربته الأرض، وأصبح ينابيع متوفر بها الماء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦١) الرُّمَّ، والغيث كما قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ الحديد:٥٠. ولكنه لا ينطبق على حالة الهشيم حيث تساقط المطر وتبخر معظمه، وكان النبات ضعيفا وغالبا من الحوليات النباتية التي تنتمي إلى عائلات مختلفة، قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ ﴾ الكهف:٥٥.

### ٣- نوع التربة:

مصدر السيلكا أساسا من التربة حيث يمتصها النبات وترسب في أنسجته، والتربة الرملية بها نسبة عالية من السيلكا، وبالتالي

في سورة الزمر: أنزل الله سبحانه وتعالى المطر من السماء، فتشربت الأرض الماء، (وهنا يكون معامل التشرب للتربة عالياً يسمح بمرور ماء المطر إلى باطن الأرض)؛ بحيث أن هذا الماء يخرج في موقع آخر منخفض من الأرض في صورة ينابيع، هذا الماء الذي خرج من موضع آخر في صورة ينبوع أخرح الله سبحانه وتعالى به زرعاً مختلف الألوان ونلاحظ قوله: ﴿ ثُمَّ ﴾ للترتيب ﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ وهنا أيضا بدأت الآية بـ (ثم) للرؤية والترتيب؛ حيث هاج الزرع وبدأ اصفراره ﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾.

وهي مرحلة نهائية في حياة النبات ﴿ حُطَامًا ﴾، ومن الملاحظ أن هذه هي المراحل الطبيعية لنمو الزروع بدءاً من الإنبات والاختضار والاصفرار والتحطم، وهذا ينطبق على المحاصيل الزراعية كما في الشعير والقمح (نباتات ذوات الفلقة الواحدة)، والتي غالبا ما تزرع كمصدر للغذاء على الينابيع في المناطق الصحراوية وهذه النباتات تتميز بقدرتها على ترسيب السيلكا.

في سورة الواقعة: إشارة إلى نظام زراعي متكامل تتوفر له كل العناصر من إعداد الحرث والزراعة، وفيها إشارة إلى الحطام أيضا، وفيها وصف لما يحدث في الزراعة، وينطبق أيضا على آية سورة الزمر، ولكن الله قادر على تحطيم هذا الزرع قبل نضجه، وفي قوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ إشارة إلى أن السيلكا تكون قد ترسبت في أنسجة النبات حتى قبل الحصاد. وفي سورة الحديد: فإن المراحل في وفرة الماء تشبه المراحل في سورة الزمر؛ حيث إن الغيث جاء بعد الجفاف، فأخضرت الأرض ونما الزرع، فتكون كمية الماء أقل مما هي عليه في حالة الينابيع، ولذا أداة العطف (ثم) تكررت مرتين في سورة الحديد، وتكررت ثلاث مرات في سورة

(١) النجليات: فصيلة نباتات من وحيدة الفلقة، معظمها أعشاب حولية، وبعضها معمر، ثمارها حبوب غنية بالمواد.

## الأبحاث المرتبطة بترسيب السيلكا لم تبدأ إلا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

### خاتمة:

عندما يمعن الإنسان النظر في آيات الله في الكون، ويتدبر آيات القرآن الكريم، يوقن أن الخالق إله واحد، وأن القرآن كلام الله، وهذا الكون خلق الله، وأن لكل لفظ في القرآن الكريم دلالة لا يمكن للفظ غيره أن يعبر عنها، فعبر بالحطام لاحتوائه على مواد حجرية، هي نفس مكونات الزجاج، وهذه البلورات موجودة في النجيليات منذ آلاف السنين، وما زالت مطمورة حتى الآن في طبقات الأرض، في صورة أحجار الأوبال (Opal) المشبعة بالسيليكا، وقد ذكر الحطام مع الزرع (القمح والشعير وغيرهما من النجيليات) التي لها قدرة عالية على ترسيب السيلكا حماية لها من تأثير الظروف الجوية، وتكسيبها صلابة ومرونة في آن واحد، وفيما عدا ذلك من نباتات أخرى يختلط بها المطر ثم تجف فتكون هشيمًا وحصيدًا. وهذا لم يعرف إلا في منتصف القرن العشرين (١٩٥٨م)، هي كشوف علمية حديثة اتسعت لها الألفاظ القرآنية.

## ذكر القرآن الكريم التهشيم والتحطيم في النباتات في إشارة إلى ترسيب مادة السيلكا فيها.

الزمر، وهذا يرجع إلى اختلاف مصدر السقيا للزرع فالأول مصدره الغيث الذي مر بمرحلتين فقط، والثاني مصدره الماء الذي سكن بالأرض وصار عيونًا فمر بثلاث مراحل.

### ثانيًا: الهشيم والحصيد:

وعند المقارنة بما ورد في سورة الكهف: نجد تشبيه الدنيا بماء نزل من السماء \_ وهذا الماء ليس بالغيث كما أنه لم يسلك طريقه في الأرض ليكون ينبوعًا بعد ذلك \_ ودل ذلك على قلة هذا الماء، ولذا ورد العطف بالفاء لإفادة السرعة في الإنبات، ولم يهيج، ولم يصفى، بل أصبح هشيمًا؛ لأنه لم يكتمل نموه الطبيعي، لقلّة الماء، وكانت نسبة السيلكا قليلة؛ لأن هذا خليط من النباتات وليست زروعًا كما هو الحال في النجيليات، ولذا تكون هشيمًا. ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الكهف.

وفي آية سورة يونس نجد الأمر أكثر تفصيلاً من آية سورة الكهف، ففيها توضيح لما تنبته الأرض، مما يأكل الناس والأنعام، فكان الهلاك فيها مباشرة قبل الحصاد؛ حيث يبست وجفت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا نَلِيًّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ نَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ يونس.



## مقارنة بين أنواع النباتات والسقيا وتأثيرها على ترسيب السيلكا

العوامل	سورة الزمر	سورة الحديد	سورتا يونس والكهف
مصدر الماء	ماء نزل من السماء	غيث وهو مطري يأتي بعد الجفاف والقنوط	ماء نزل من السماء
تشرب الأرض	تشربت الأرض المطر وتحول إلى ينابيع	لم تتشربه الأرض	لم تتشربه الأرض
نوع النبات	زرع مختلف ألوانه غالبا محاصيل حقلية مثل الشعير والقمح	نبات شب على الغيث	نبات الأرض عامة
وصف مراحل النمو	تكرر (ثم) ثلاث مرات	تكرار (ثم) مرتين	تكرار (الفاء) مرتين
مراحل النمو	ثلاث مراحل على الترتيب	مرحلتين على الترتيب	مرحلتين سريعتين
الهباج والاصفرار	موجود	موجود	غير موجود
النهاية	حطام	حطام	هشيم وحصيد
نسبة السيلكا	عالية قد تصل الى ١٠٪	عالية قد تصل الى ١٠٪	تتراوح بين ٠,٥ - ٣ ٪

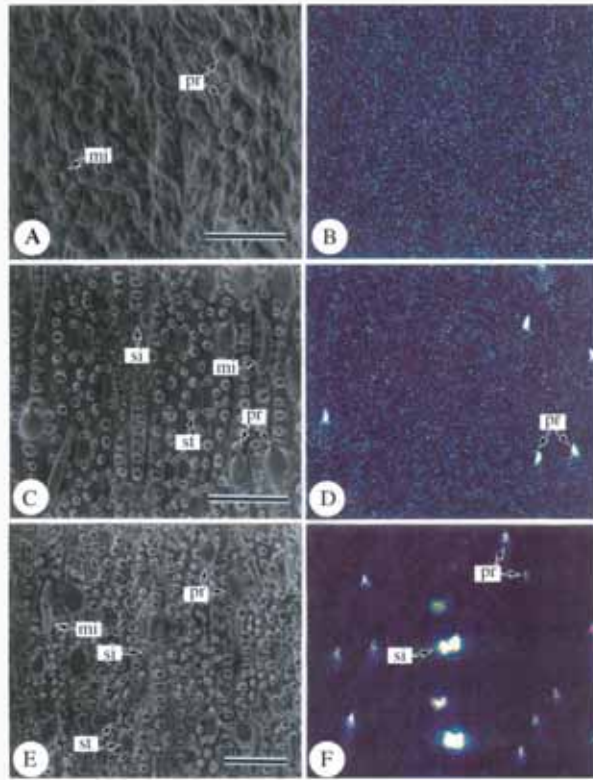
### المراجع

- ١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- ٢- فتح الباري لابن حجر.
- ٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي.
- ٤- أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية، حسن عزام.
- ٥- أساسيات علم النبات العام : الشكل الظاهري و التركيب التشريحي، تقسيم المملكة النباتية، وظائف أعضاء النبات، محمود محمد جبر وآخرون
- ٦- أمراض المحاصيل الحقلية: النظري و العملي ، جودة توفيق فضول.
- ٧- تأثير ميعاد الزراعة في الاستهلاك المائي لمحصول القمح في منطقة نجد بالمملكة العربية السعودية، عبد الله سعد الطاهر.
- ٨- ري المحاصيل و المقننات المائية، محمد أحمد معتوق، عبد الحميد السيد القراميطي.
- ٩- فسيولوجيا المحاصيل، إعداد ل. ت. إيفانز؛ ترجمة قذافي عبدالله الحداد.

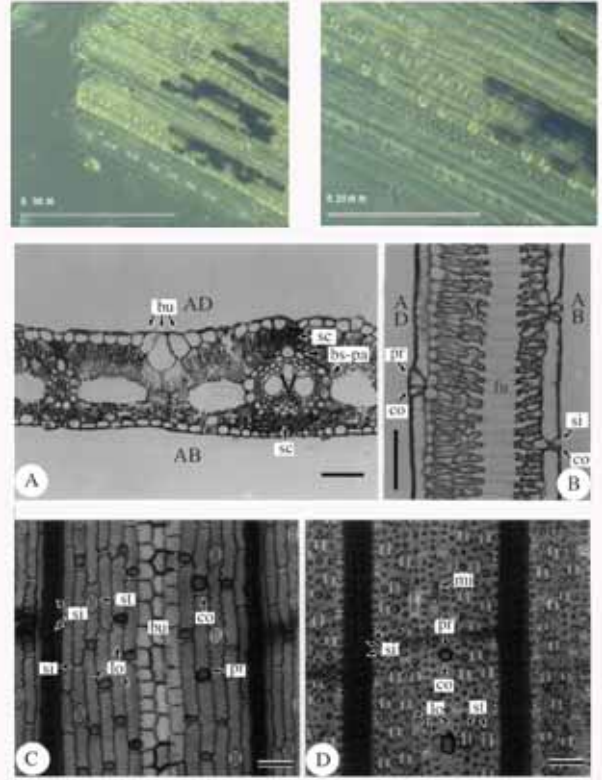


مراحل نمو الزروع:

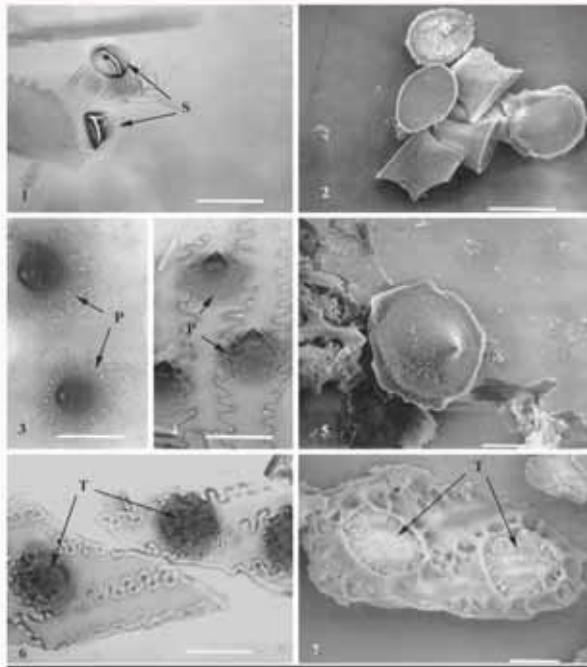




صور ميكروسكوب الكتروني لاماكن مختلفة من سطح ورقة نبات نخيلي تظهر بها ترسيبات السيلكا



صور ميكروسكوب ضوئي لترسيبات السيلكا في نصل ورقة من النجيليات



صور ميكروسكوب ضوئي لبلورات نبات سيلكا بنورة نبات القمح (٦،٤،٣)

صور ميكروسكوب الكتروني لبلورات سيلكا بنورة القمح (٧،٥،٢)

# إعصار فيه نار

حقائق جديدة تشهد  
بصدق القرآن الكريم

في هذا البحث العلمي تتأمل الاكتشاف الجديد الذي أسماه العلماء "إعصار النار" Fire Tornado، وكيف جاء الوصف القرآني مطابقاً للحقيقة العلمية، وأن العلماء يعترفون بأن هذا النوع من الأعاصير لم يكن معروفاً إلى قبل سنوات قليلة. ولكن في القرن الحادي والعشرين وتحديداً في أواخر عام ٢٠١٣م تمكّن علماء الأرصاد الجوية باستخدام الأقمار الاصطناعية والرادارات ومختبرات الأبحاث المحمولة على المناطيد، من تصوير وتحليل ودراسة هذا النوع من الأعاصير نادرة الحدوث، وتبين بالفعل أن التعبير القرآني "إعصار فيه نار" أكثر دقة من المصطلح العلمي "إعصار النار" Fire Tornado .  
مما يثبت السبق العلمي للقرآن الكريم في هذا المجال

المهندس: عبد الدائم الكحيل

هندسة ميكانيك السوائل

## أول توثيق علمي لإعصار النار كان

عام ٢٠٠٣م.

### في رحاب تفسير الآية:

قال تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة: ٢٦٦.

يقول الإمام ابن كثير: قال تعالى: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ وهو الريح الشديد ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ أي: أحرق ثمارها وأباد أشجارها، فأى حال يكون حاله. وفي تفسير القرطبي نجد قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ قال الحسن: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ ريح فيها برد شديد.

قال الزجاج: الإعصار في اللغة الريح الشديدة التي تهب من الأرض إلى السماء كالعمود، وهي التي يقال لها: الزوبعة. وقيل لها إعصار لأنها تلتف كالثوب إذا عصر.

وفي تفسير الطبري: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾، يعني بذلك أن جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار، في حال حاجته إليها، وضرورته إلى ثمرتها بكبره، وضعفه عن عمارتها، وفي حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها. فبقي لا شيء له، أحوج ما كان إلى جنته وثمارها، بالآفة التي أصابتها من الإعصار الذي فيه النار.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾، ريح فيها سموم شديدة. ونلاحظ لدى تأملنا في أقوال المفسرين السابقين أنهم تناولوا معنى الإعصار على أنه ريح تلتف وترتفع للأعلى، فهذه هي المعلومات التي كانت متوافرة حتى عهد قريب. وهناك محاولات عديدة ظهرت حديثاً لتفسير الآية الكريمة بشكل علمي<sup>(١)</sup> ولكن لم تتضح الرؤيا إلا عام ٢٠١٣م حيث تمكن العلماء من دراسة وتصوير هذه الأعاصير باستخدام الأقمار الاصطناعية وأجهزة الرصد والمراقبة المتطورة.

١- الإعصار والنار، دكتور: رضا عبد الحكيم رضوان، بحث منشور في العدد الثامن من

في عام ٢٠١٠م رأى العالم إعصاراً من نوع غريب يضرب غابات البرازيل، ولكن لم يكن المشهد ملفتاً للانتباه كثيراً حتى جاء إعصار أستراليا عام ٢٠١٢م ليحرق إحدى الغابات ويسبب خسائر بملايين الدولارات، حيث تم تصويره وتحليله ودراسته من قبل العلماء وأظهر شريط الفيديو قوة الإعصار الحارقة حيث التهم مساحات كبيرة من الأشجار خلال زمن قصير جداً.

لقد لفت هذا النوع من الأعاصير انتباه العلماء حديثاً بسبب قوته التدميرية، وتكرار حدوثه في العديد من مناطق الغابات في أستراليا وأمريكا، ولذلك قام العلماء بدراسة تحليلية دقيقة لمعرفة أسباب هذه الأعاصير لتجنب حدوثها. والعجيب أن نتائج هذه الدراسة جاءت مطابقة للنص القرآني.

سوف نقوم من خلال فقرات هذا البحث بدراسة قوله تعالى:

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ دراسة علمية دقيقة ونكتشف الكثير من المعجزات تتجلى في كل كلمة لتشهد على صدق هذا القرآن، وأنه لا يمكن لبشر أن يتنبأ بمثل هذا النوع من الأعاصير في زمن بعثة النبي ﷺ.

تؤكد الدراسات العلمية أن أشد أنواع الأعاصير إحراقاً للغابات وأسرعها وأعنفها هو إعصار النار (Fire Tornado)، والمثال الذي ضربه الله لنا في سورة البقرة، يناسبه هذا النوع من الأعاصير ليدلنا على سرعة وشدة احتراق الجنة (البستان)، وأن إعصار النار هو الإعصار الوحيد الذي يحرق كل شيء فلا يترك من البستان أي شيء يذكر، على عكس بقية الأعاصير التي تحدث أضراراً وإتلافاً للغابات أقل مما يحدثه إعصار النار.

وبالنتيجة يتبين أن هذه الآية الكريمة تحتوي على العديد من المعجزات العلمية، وسوف نتناولها بالتفصيل مع أقوال العلماء حديثاً، ووجه الإعجاز والسبق القرآني في مجال علم الأعاصير، وهذه المعجزة تأتي اليوم لتشهد على صدق كتاب الله تبارك وتعالى.

## صورة بيانية رائعة:

تأملوا هذه الصورة البيانية الرائعة المكتملة الأركان التي وضعها الله في آية واحدة في كتابه الكريم:

الجنة من أفضل أنواع البساتين حيث تحوي الأشجار المثمرة، والأنهار تتدفق فيها، والينابيع من تحتها، فهذه صورة كاملة لمزرعة تحوي كل شيء يحتاجه الإنسان حتى يعيش حياة الرفاهية. وضرب الله لنا المثل برجل كبير السن ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾، فليس لديه أمل في أن يعيش ليزرع جنة أخرى فهي تحتاج لسنوات. وبنفس الوقت الأطفال صغار: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ فليس لديهم القوة الكافية لإنشاء بستان جديد كما فعل أبوهم من قبل خلال فترة شبابه.

والحدث الذي فاجأ الأب هو "إعصار فيه نار" فهو إعصار غير مألوف وغير متوقع، أحرق كل شيء، فلم يعد هناك أي أمل في المستقبل، سوى الخوف على الأطفال الصغار. وهنا تمتزج عاطفة الأبوة مع ألم فقدان الجنة فتشكل لنا حالة نفسية فريدة.



صورة رقم (١) إعصار عادي يتشكل نتيجة حدوث عاصفة رعدية ورياح شديدة حيث تلتف الرياح على شكل دوامات هوائية عنيفة تدور في حركة أفقية وعمودية للأعلى، وتسبب اقتلاع أسقف البيوت الخشبية والأشجار وتدمير المنازل وتتلغ المحاصيل الزراعية.

لذلك أعطانا القرآن صورة مرعبة لهذه الخاتمة لكي نسارع وننفق في سبيل الله، وهذا الأسلوب النفسي مؤثر جداً حيث يقول علماء النفس اليوم: إن عرض الصور المخيفة والنتائج المرعبة لشيء ما يجرس في نفس الإنسان مؤثرات تجعله يبتعد عن هذا العمل. وهذه الآية تصور لنا النتيجة المرعبة للبخل وعدم التصديق والإنفاق..

ولكن هذه الصورة البيانية الرائعة تخفي وراءها صورة علمية مبهرة لم يراها العلماء إلا حديثاً جداً، فقد رأى العلماء إعصار النار وصوروه ودرسوه دراسة دقيقة، وقد أظهرت نتائج الدراسة العلمية التطابق الكامل بين الوصف القرآني وبين الحقيقة العلمية.

## ما هو الإعصار، وكيف يتشكل؟

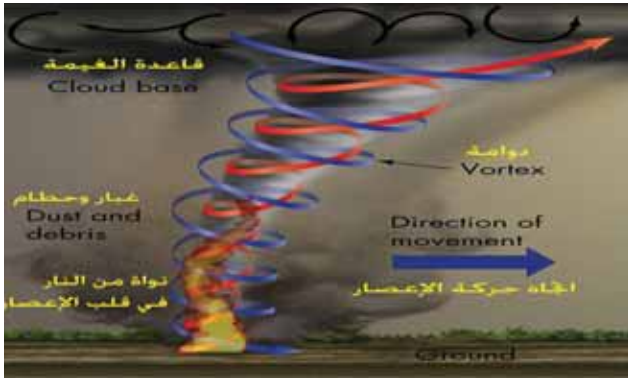
درس علماء الأرصاد ظاهرة الأعاصير لفترة طويلة، واستخدموا الأقمار الاصطناعية، وأجهزة قياس متطورة لقياس سرعة الرياح وتوزع درجات الحرارة عبر الغلاف الجوي، ونسبة الرطوبة والضغط الجوي وارتفاع الغيوم، وحتى الآن لا يزال العلماء عاجزين عن التنبؤ بحدوث الأعاصير، ولا يمكن تجنب أضرارها التدميرية (المرجع رقم ١). يقول العلماء إن الإعصار يتشكل بسبب عاصفة رعدية كبيرة تدعى (Supercell) بحيث يصعد الهواء الدافئ للأعلى بشدة ويشكل دوامة ويلتف بسبب سرعة الرياح التي يجب أن تكون أكثر من ١١٩ كيلومتر في الساعة، وبسبب الحركة المضطربة للرياح. وحسب



صورة رقم (٢) لإعصار ينتج في ظروف العاصفة الرعدية حيث تكون سرعة الرياح مناسبة لتشكل دوامة عملاقة وقد يترافق مع زخات من المطر والبرد وضربات من البرق أيضاً.

إلا أنه لم تتم دراسته دراسة كافية، أو معرفة الأسباب الحقيقية لنشوئه، ولكن يربط العلماء هذا الإعصار بوجود حرائق غابات واقتراب إعصار منها، مما يؤدي لتشكيل نواة من اللهب تدور بحركة أفقية وحركة عمودية للأعلى.

حسب موقع ناشيونال جيوغرافيك فإن إعصار النار يحدث عندما ترتفع درجة الحرارة، ويكون لدينا دوامات هوائية مضطربة. ويتكون إعصار النار من جزء أساسي هو النواة النارية وجزء غير مرئي هو الدوامة الهوائية المحيطة بالنواة، مهمته تغذية المركز بالأكسجين.



صورة رقم (٤) مخطط إعصار النار حيث يظهر لنا على شكل دوامات هوائية عنيفة تجذب الغبار من الأرض، وأثناء دوران الدوامة تعمل على تدمير الأشياء التي تقترب منها. وفي قلب الإعصار نجد لساناً من اللهب يدور حول نفسه بحركة مضطربة، ويرتفع باتجاه الأعلى مما يزيد قوة إحراق النار... ويؤكد العلماء إن هذا النوع من الأعاصير هو الأعنف والأكثر إحراقاً وتدميراً وبخاصة لمناطق الغابات.



صورة رقم (٥) أول صورة كتوثيق علمي التقطت بتاريخ ١/١٨/٢٠٠٣م لإعصار النار. [حسب المرجع رقم ٦]. وهذه الصورة تعتبر أول ملاحظة علمية لهذا النوع من الأعاصير. وهذا يعني أن الظاهرة جديدة على العلماء ولم يتم توثيقها إلا في القرن الحادي والعشرين.

## دراسة تحليلية دقيقة لمعرفة أسباب أعاصير النار لتجنب حدوثها.

وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، يتشكل الإعصار على مراحل متعددة. وهناك خمس حالات للعواصف حسب سرعة الرياح:

- ١- سرعة الرياح من ١١٩-١٥٣ كم / ساعة
- ٢- سرعة الرياح من ١٥٤-١٧٧ كم / ساعة
- ٣- سرعة الرياح من ١٧٨-٢٠٩ كم / ساعة
- ٤- سرعة الرياح من ٢١٠-٢٤٩ كم / ساعة
- ٥- سرعة الرياح أكثر من ٢٤٩ كم / ساعة..

يؤكد العلماء أنهم لا يعرفون بالضبط لماذا أو كيف يتكون الإعصار! ولكنهم يعلمون بأن الرياح الدافئة تأتي من المحيطات والبحار الدافئة وتندفع باتجاه اليابسة، وبسبب اختلاف درجات الحرارة تنشأ الدوامات التي تتطور وتشكل إعصاراً يمكن أن يترافق مع الأمطار أحياناً [٢].

## الآلية الهندسية لتشكيل إعصار النار:

الذي يميز إعصار النار عن غيره وجود النار بداخله؛ مما يضاعف من قوته التدميرية، حيث يتميز هذا الإعصار بقدرته على إتلاف المحاصيل والممتلكات بالإضافة لإحراق الغابات والبيوت. وعلى الرغم من تكرار حدوث هذا الإعصار في السنوات القليلة الماضية



صورة رقم (٣) إعصار النار الذي ضرب منطقة Queensland شرق أستراليا بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٢٠١٢م وسبب دماراً هائلاً في الغابات والممتلكات.

أي أن الباحثين لم يتمكنوا من توثيق هذا النوع من الأعاصير إلا في عام ٢٠٠٣م [١٣] ويقول الباحثون: إنه في عام ١٩٢٣م ضرب زلزال يدعى (Great Kanto earthquake) منطقة في اليابان وتشكل إعصار من النار ارتفع مئات الأمتار، ولكن لم يتم ملاحظته أو توثيقه علمياً. [١٤]

ويؤكد الدكتور Dr Jason Sharples من جامعة NSW، Canberra أن إعصار النار يختلف اختلافاً جذرياً عن الحرائق العادية التي تشكل دوامات بسبب حركة الهواء. ويؤكد الباحثون في موقع ABC أن سرعة الرياح أفقياً حول هذا الإعصار بلغت ٢٥٠ كيلومتر في الساعة، وهناك رياح عمودية سرعتها ١٥٠ كيلومتر في الساعة. يقول الباحث McRae إن إعصار النار يشبه الإعصار العادي المتولد نتيجة العواصف الرعدية، ولكن مع وجود النار التي تنشأ بسبب حرارة سطح الأرض.

## ظاهرة نادرة الحدوث:

إن ظاهرة إعصار النار تعتبر من الظواهر النادرة التي لا يمكن للإنسان أن يراها، بسبب تعقيد ظروف حدوثها، فهذا النوع من الأعاصير يتطلب وجود حرائق تجتاح الغابات وظروف جفاف مناسبة وظروف جوية مناسبة أيضاً؛ لحدوث العواصف الرعدية وتشكل الإعصار الذي يقترب من النار فيتشكل عمود النار أو لسان اللهب الذي يرتفع لمئات الأمتار. يستمر إعصار النار لمدة ٤٠ دقيقة (المدة التي رصدها العلماء) وهي كافية لتدمير آلاف الأمتار المربعة من الأرض وإتلافها بشكل كامل. والآن دعونا نتأمل بعض الصور التي التقطت لمناطق ضربها إعصار النار.

## إعصار نار خارج الأرض:

في عام ٢٠١١م التقط العلماء في وكالة ناسا NASA صورة لإعصار نار هائل جداً حدث على سطح الشمس! ويقول العلماء إن هذا الإعصار يقذف النار بسرعة مئات الآلاف من الكيلومترات في

”لا يمكن التنبؤ بحدوث الأعاصير ولا يمكن تجنب أضرارها التدميرية.“

”يتميز إعصار النار عن غيره من الأعاصير بوجود نار بداخله مما يضاعف من قوته التدميرية.“

ويحدث إعصار النار مرة واحدة في السنة في الولايات المتحدة. ويبلغ قطر نواة إعصار النار النموذجي أقل من متر وطوله بحدود ٣٠ متراً، وفي حالة الأعاصير القوية يبلغ قطر نواة النار أكثر من عشرة أمتار ويمتد لأكثر من ٣٠٠ متر عالياً [١٥].

## تركيب إعصار النار:

لقد نال إعصار النار اهتماماً علمياً خلال السنوات القليلة الماضية بسبب استخدام التكنولوجيا المتطورة في دراسته والتي تشمل (١٦):

١- أجهزة القياس المحمولة عبر الهواء (المناطيد) والتي تعمل مثل أقمار اصطناعية لجمع البيانات ضمن مجال الأشعة المرئية والأشعة تحت الحمراء.

٢- الصور الملتقطة من قبل الأقمار الاصطناعية

٣- الصور الملتقطة بواسطة رادارات المراقبة

٤- الصور والفيديوهات الملتقطة من قبل هواة التصوير.

لقد وجد العلماء أن إعصار النار يتركب من جزأين:

١- إعصار عادي يتشكل بسبب ظروف جوية مناسبة من درجة حرارة وسرعة رياح وغير ذلك.

٢- اشتعال النار بسبب ارتفاع درجة الحرارة.

حيث تدخل النيران المشتعلة في الغابة إلى قلب الإعصار وتشكل نواة للإعصار تلتف وتدور وترتفع للأعلى، أما الرياح فتشكل دوامة تدور مع حركة الإعصار، ولذلك فإن النار ليست من أساس الإعصار إنما دخلت فيه بسبب الحرارة الزائدة... وبالتالي كان ينبغي على العلماء أن يطلقوا اسم «إعصار فيه نار» بدلاً من "إعصار النار" حيث توحى هذه التسمية بأن الإعصار يتشكل بسبب النار، ولكن الحقيقة أن الإعصار تدخل فيه النار بسبب قوى الجذب التي تمارسها الدوامات الهوائية على النار.

## أول تسجيل لإعصار النار:

يؤكد العلماء أن أول مرة تمكنوا فيها من مشاهدة إعصار النار كان في عام ٢٠٠٣م وذلك في مقالة بعنوان [١٠]:

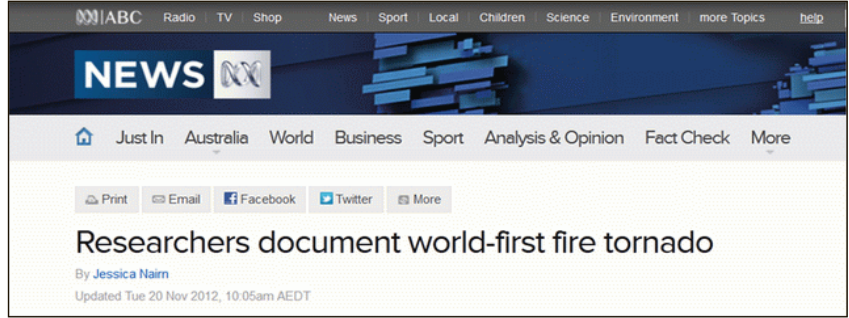
(Researchers confirm first 'fire tornado' during 2003 bushfires)

الساعة، وتمتد ألسنة اللهب لأكثر من مئتي ألف كيلومتر.. فسبحان الله.

## أوجه متعددة للإعجاز في الآية:

١- إن إعصار النار لديه القدرة على إحراق بستان كبير (أوجنة) طوله خمسة كيلومترات خلال عشر دقائق فقط، حيث بينت الدراسات أن هذا النوع من الأعاصير يسير بسرعة تبلغ أكثر من ٣٠ كيلومتراً في الساعة. ولذلك جاء في القرآن الكريم حرف الفاء مرتين لوصف إحراق الجنة (البستان)، حيث إن حرف الفاء يستخدم في اللغة للتعبير عن السرعة والمباغته. قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾، الفاء الأولى في كلمة ﴿فَأَصَابَهَا﴾ والفاء الثانية في كلمة ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾، تدلان على السرعة، وهذا ما يحدث بالضبط في حالة إعصار النار، حيث يتشكل هذا الإعصار بشكل مفاجئ ويحرق الأشجار والبيوت بسرعة كبيرة...

وهكذا فإن استخدام حرف العطف، الفاء يدل على سرعة الاحتراق، وبالفعل تبين تسجيلات العلماء هذا الأمر بوضوح؛ حيث لاحظوا من تصوير الفيديو السرعة الكبيرة التي تحترق فيها الغابة بعكس الحرائق العادية التي تستغرق زمناً أطول. بينما في قوله تعالى: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبْرُ﴾ استخدم حرف العطف الواو الذي يدل على التراخي.. لأن الكبر لا يصيب الإنسان فجأة بل خلال سنوات.. فسبحان الله.



صورة رقم (٦) موقع ABC الأسترالي يقول أن العلماء يوثقون أول إعصار نار على مستوى العالم، ويقول الباحث RickMcRae من إدارة الطوارئ في أستراليا ESA لقد توقع العلماء بإمكانية حدوث إعصار النار ولكن هذه هي المرة الأولى (٢٠٠٣) التي يوثقون فيها إعصاراً كهذا. [حسب المرجع رقم ٧].



صورة رقم (٧) لأول مرة يقوم الباحث Kevin Binkert بتجربة إنتاج دوامة نارية عام ١٩٩٤م وبعد ذلك انتشرت هذه التجربة في العديد من دول العالم على شكل احتفالات استعراضية [١٨].

Australian GEOGRAPHIC adventures THE GREAT AUSTRALIAN JOURNAL CAPTION THIS AND YOU COULD WIN a \$2500 travel voucher

HOME JOURNAL SOCIETY EDUCATION outdoor SHOP SUBSCRIBE Log In | Join AG

Fire tornadoes: a rare weather phenomenon

BY ELIZABETH NEW | NOVEMBER 1, 2012

Share | Facebook | Twitter | LinkedIn | Print

TAGS: videos, weather

'Firenadoes' are rare weather events that occur when a unique set of conditions come together.

RECEIVE A FREE BOOK + SAVE OVER \$64! Subscribe or renew for 12 issues, save 36% plus receive our beautiful AG illustration book, valued at \$59.95 FREE.

Advertisement

adventures THE GREAT AUSTRALIAN JOURNAL ARCTIC CRUISING

صورة رقم (٨) حسب موقع "أستراليا جيوغرافيك" يؤكد العلماء أن ظاهرة إعصار النار هي ظاهرة نادرة الحدوث (Rare Phenomenon). ويقولون [١٨] إن هذه الظاهرة غالباً ما تحدث في الغابات والبساتين فتحرق الأشجار والنباتات... ومثل هذه الأعاصير لم يتم رصدها في الصحراء.



صورة رقم (١٢) هذه منطقة في كاليفورنيا (Banning, California) مليئة بالأشجار والنباتات ولكن في منتصف ٢٠١٣م ونتيجة ارتفاع الحرارة ووجود دوامات هواء تشكلت حرائق هائلة وتشكل أحياناً ما يسمى إعصار النار الذي التهم معظم هذه النباتات.



صورة رقم (٩) إعصار نار يضرب منطقة مرتفعة في أستراليا.. ويؤكد العلماء أن هذا النوع من الأعاصير يصيب المناطق المرتفعة ذات الأشجار الكثيفة [٨].



صورة رقم (١٣) مشهد بعد الحريق مباشرة في الليلة التالية.. سبحان الله كل شيء تغير [١٩].



صورة رقم (١٠) إعصار النار الذي ضرب منطقة في كاليفورنيا مليئة بالأشجار، ومرتفعة عن الأرض. يقول الباحث Dr Andrew Sullivan من مركز CSIRO [١١] إن هذه الظاهرة نادرة ولكنها مذهلة، وتحدث نتيجة وجود دوامات هواء قوية، وغالباً ما تحدث في التلال أو المناطق المرتفعة ذات الأشجار الكثيفة حيث تكون دوامات الهواء أقوى...



صورة رقم (١٤) أضخم إعصار شمسي يفاجئ العلماء: التقطت وكالة الفضاء الأمريكية NASA بتاريخ ٢٥/٩/٢٠١١م، تسجيلاً مصوراً لأكبر إعصار النار تشكل على سطح الشمس، ويقول الباحثون إن إعصار النار الشمسي كبير لدرجة أنه قادر على التهام مئات من أمثال كرتنا الأرضية [٢٠-٢١-٢٢].



صورة رقم (١١) مشهد لمنطقة في أستراليا مرتفعة كثيفة الأشجار أصابها إعصار النار فاحترقت وقد أخذت هذه الصورة قبل الحريق بيوم واحد وبعد الحريق مباشرة تأملوا الدمار الكبير وكيف تغير المشهد كلياً [١٧].



## خاتمة :

وأخيراً دعونا نطرح بعض الأسئلة على كل من يشكك بهذا القرآن ويدعي أنه من تأليف محمد ﷺ:

- كيف علم النبي الكريم ﷺ بمثل هذه الأعاصير في زمن لم يكن أحد على وجه الأرض يعلم شيئاً عنها. وهذا باعتراف العلماء اليوم؛ وكيف استطاع أن يصفه بكلمات قليلة وصفاً يطابق الحقيقة العلمية؟

- إن النبي الكريم ﷺ كان يعيش في صحراء، وهذه الأعاصير النادرة لا تحدث إلا في مناطق مرتفعة وكثيفة الأشجار.. فكيف تمكن النبي عليه الصلاة والسلام من تصوير مشهد إحراق إعصار النار للبستان وهو لم يشاهد مثل هذا الحدث من قبل، ولم يسمع به؟

- ما الذي يدعو النبي محمد ﷺ للدخول في مثل هذه المسائل العلمية المعقدة ولماذا استخدم هذا المثل في دعوته في ذلك الوقت؟ وكان يكفي أن يذكر احتراق البستان من دون الحاجة لذكر الإعصار!

إن الجواب المنطقي والعلمي لهذه التساؤلات أن هذه الآية هي كلام الله الحق الذي أنزل هذا القرآن وقال فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المراجع العربية

- ١- القرآن الكريم
- ٢- تفسير الإمام الطبري، دارالسلام - الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- ٣- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الطبعة الثالثة ٢٠١٠م.
- ٤- تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دارالكتب العلمية الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

## ظاهرة إعصار النار من الظواهر النادرة التي يصعب على الإنسان إدراكها.

٢- إن العلماء يؤكدون أن هذه الظاهرة (إعصار النار) ظاهرة نادرة وغير مألوفة ولم يتم توثيقها إلا في القرن الحادي والعشرين.. يقول العلماء إن إعصار النار لم يلاحظه أحد من قبل بسبب خطورته وعدم التمييز بينه وبين الحرائق العادية للغابات، ومع التطور العلمي وسهولة التصوير والتوثيق تمكن الإنسان من توثيق هذه الظاهرة لأول مرة عام ٢٠٠٣م ودراستها بشكل مفصل عام ٢٠١٣م.

بينما نجد أن أول إشارة علمية أو أول توثيق علمي لظاهرة إعصار النار جاء في القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام. وإن وجود ذكر لإعصار فيه النار في القرآن الكريم هو دليل مادي على إعجاز القرآن.

٣- يؤكد العلماء [١٢] أنه لولا تطور التكنولوجيا الرقمية وانتشار وسائل القياس والتصوير الدقيق، ولولا الجفاف الذي يضرب بعض مناطق العالم اليوم، والتغير المناخي وارتفاع حرارة الأرض، وزيادة حرائق الغابات نتيجة ذلك.. لم يكن من الممكن اكتشاف إعصار النار.

وهذا يدل على أنه لا توجد إمكانية لدى أحد للتنبؤ بمثل هذه الأعاصير أو الحديث عنها، فكيف علم النبي الكريم ﷺ بها، لولا أن الله تعالى هو الذي أخبره؛ لتكون هذه الحقيقة شاهداً على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام.

٤- لقد وصف الله تعالى لنا ذلك البستان الذي أصابه إعصار النار ﴿جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أي أن هذا الإعصار أصاب جنة مثمرة، وبالفعل يقول العلماء إن إعصار النار غالباً ما يصيب الغابات ذات الأشجار الكثيفة، ولا يقع في الصحراء وهذا يؤكد دقة التعبير القرآني. أي أن القرآن الكريم بهذا قد أخبر عن إعصار فيه نار وحدد لنا مكان حدوث هذا الإعصار وهي الأماكن التي تحتوي على الأشجار.

## المراجع الأجنبية

- 1- Geoffrey A. Moore, *Inside the Tornado*, HarperBusiness; Reissue edition, 2004.
- 2- Jack Challoner, *Hurricane & Tornado*, DK CHILDREN, 2004.
- 3- Seymour Simon, *Hurricanes*, HarperCollins, 2007.
- 4- Ken Douglas, *Bootleg Press*, 2008.
- 5- Franklyn M. Branley, *Tornado Alert*, HarperCollins, 1990.
- 6- First confirmed case of a fire tornado was during the 2003 Canberra bushfires - <http://www.brisbanetimes.com.au/photogallery/act-news/first-confirmed-case-of-a-fire-tornado-was-during-the-2003-canberra-bushfires-2012111929-lkm.html?selectedImage=0>
- 7- <http://www.abc.net.au/news/201219-11-/researchers-document-world-first-fire-tornado/4380252>
- 8- <http://www.theverge.com/20134865662/22/10//asutrialian-brush-fires-pyrocumulus>
- 9- *What Are Hurricanes?*, [http://www.nasa.gov/audience/for\\_students/k-4/stories/what-are-hurricanes-k4.html](http://www.nasa.gov/audience/for_students/k-4/stories/what-are-hurricanes-k4.html)
- 10- *Researchers confirm first 'fire tornado' during 2003 bushfires, November 19, 2012.*  
<http://www.brisbanetimes.com.au/environment/researchers-confirm-first-fire-tornado-during-2003-bushfires-2012111929-liv.html>
- 11- *Fire tornadoes: a rare weather phenomenon*, <http://www.australiangeographic.com.au/journal/fire-tornadoes-a-rare-weather-phenomenon.htm>
- 12- *Wildfires ignite debate on global warming*, 18 July 2012 - <http://www.nature.com/news/wildfires-ignite-debate-on-global-warming-1.11025>
- 13- *Brazil fire tornado*, <http://www.dailymail.co.uk/sciencetech/article-1306088/Brazil-tornado-Whirling-column-flames-sweeps-burning-fields.html>
- 14- *1923 Great Kantō earthquake*, [http://en.wikipedia.org/wiki/1923\\_Great\\_Kant%C58%D\\_earthquake](http://en.wikipedia.org/wiki/1923_Great_Kant%C58%D_earthquake)
- 15- *Hawaii Fire Tornado*, September 3, 2010 <http://news.nationalgeographic.com>
- 16- *Turn and burn: the strange world of fire tornadoes*, 18 December 2012, <http://theconversation.com/turn-and-burn-the-strange-world-of-fire-tornadoes-11193>
- 17- <http://www.australiangeographic.com.au/journal/black-saturday-before-and-after.htm>
- 18- <http://smpmachine.com/kevin/tornado.html>
- 19- <http://peopleus.blogspot.com/201306//california-fire-season-begins.html>
- 20- *Giant Solar Tornado Caught in NASA Video*, <http://news.nationalgeographic.com/news/2012120329-/03/sun-solar-tornadoes-biggest-nasa-sdo-space-science/>
- 21- *Magnetic tornadoes as energy channels into the solar corona*,  
27 June 2012 - <http://www.nature.com/nature/journal/v486/n7404/full/nature11202.html>
- 22- <http://news.nationalgeographic.com/news/2011110608-/06/solar-flare-sun-science-space/>

## ريادة مجلة



## في نشر العديد من الأبحاث المتعلقة بالأوبئة والفيروسات

إعداد:

أ. سعد بن أحمد حسين الحندلي (باحث بإدارة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).



أسهمت مجلة الاعجاز العلمي – ولا تزال – في نشر كثير من البحوث والمقالات العلمية وقد كان لها قصب السبق والريادة – بفضل الله تعالى- في تناول الحقائق العلمية المتعلقة بالأمراض والأوبئة الناتجة عن الكائنات الدقيقة، مسترشدة بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي هذا التقرير نستعرض نبذة موجزة لأهم ما نشرته المجلة في أعدادها السابقة ابتداءً من العدد الأول إلى العدد (٦٢) .

## مقدمة:

عانت البشرية عبر تاريخها من ويلات الطواعين والأوبئة، التي كان آخرها جائحة فايروس التاجي (كوفيد - ١٩) والمعروف إعلامياً بفيروس كورونا المستجد، والذي اجتاح العالم بأسره حتى تجاوز عدد المصابين به حتى تاريخ ١ يونيو ٢٠٢١م (١٧١,٤٩١,٢٠٥) مصاباً، حسب إحصائية منظمة الصحة العالمية.

## وجهت مجلة الإعجاز العلمي أهل الاختصاص إلى نصوص القرآن والسنة التي تشير للكائنات الدقيقة المسببة للأمراض.

وفي العصر الحديث شهد كثير من علماء العلوم النظرية والتطبيقية على صدق ما بلغنا به نبينا محمد ﷺ من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة التي سبقت الطب الحديث في الإشارة للكائنات الدقيقة التي تسبب الأمراض؛ حيث تضمنت تلك النصوص توجيهات للوقاية والعلاج بأيسر وأنجع السبل، وفيما يلي نبذة لأهم ما نشرته مجلة الإعجاز العلمي في المجالات الآتية:

### أولاً: مجال الطب الوقائي

- بحث بعنوان: (من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة)، للدكتور عبد الجواد

الأمراض الأخرى التي تضعف البدن وتوهن الصحة وتصيب الجسم بالعلل والأمراض التي قد تؤدي به إلى الهلاك.

- كما استكمل الباحث في العدد (٤) الصادر في شهر محرم ١٤٢٠ هـ الموافق مايو ١٩٩٩م موضوعه مبيئاً أن انتشار الأمراض السارية بين الناس تعتمد على عاملين أساسيين: المخازن الحاوية للكائنات الدقيقة التي تسبب الأمراض، والطرق المؤثرة في نقل هذه الكائنات إلى الإنسان.

- واستعرض الأستاذ الدكتور. نبيه بن عبد الرحمن باعشن في العدد (٦)



من المجلة رسالة ماجستير للباحث خالد الفريح الطالب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بعنوان: (تأثير العسل التنبيطي على نمو الكائنات الدقيقة)، وذلك باستخدام مجموعة من الأعسال المتوفرة في أسواق مدينة جدة، بالمملكة العربية السعودية على عدة أنواع من البكتيريا تم الحصول عليها من الشركة الأمريكية لتجميع



الصاوي في العدد (٣) الصادر في ربيع الثاني ١٤١٨هـ الموافق أغسطس ١٩٩٧م وضح فيه أن عالم الكائنات الدقيقة كان غيباً في زمن النبوة وبعده حتى القرن العشرين، لكن التوجيهات الإسلامية، في الطهارة، والوضوء، والغسل والنظافة في الملابس والمسكن وأماكن التجمعات، والتوجيهات في المأكل، والمشرب، والسلوك الخُلقي العام والخاص، تشير كلها بطريق أو بآخر إلى هذه العوالم الخفية، وإلى مسببات



تطرق فيه إلى أهمية العمل بتوجيهات النبي ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق للوقاية من التهابات الجيوب الجار أنفية، والتي من أسبابها تراكم الإفرازات التي تؤدي إلى تلف الأهداب والخلايا الحاملة لها، والتي تهيج الظروف لنشاط الميكروبات المرضية، وتحول الميكروبات غير الضارة إلى ضارة.

- كما كتب الدكتور. مشاري بن فرج العتيبي في العدد (٢٦) الصادر في شهر محرم ١٤٢٨ هـ الموافق يناير ٢٠٠٧م مقالا عن : (عود الأراك وتأثيره على صحة الفم)؛ حيث بين دور السواك في الوقاية من التهاب اللثة وتقيحها ، ومكافحة الجراثيم التي تضعف مقاومة الجسم ، وتحدث التهابات مختلفة كالتهاب المعدة، أوالجيوب الأنفية، أو الشعب الهوائية.



**السواك لحماية اللثة واللسان، وإزالة البكتيريا الضارة بالفم.**

**سبقت مجلة الإعجاز العدي من النوافذ الإعلامية في نشر بحوث الطب الوقائي والعلاجي.**

مما يؤدي إلى تثبيطها، وأن للكحول دوراً في إصابة المدمن بالإلتهابات الرئوية المتكررة وأن مدمن الكحول عرضة للكسور التي تصيب أضلاع القفص الصدري مما يؤدي إلى إعاقة دور القفص الصدري في عملية التنفس، كما أن الكحول يؤدي إلى ضعف عضلات التنفس نتيجة لنقص (Hypophosphatemia)، ويين أن للكحول أثراً على انسداد الحنجرة الذي ينتج عن اعتلال العصب الحرقفي العاشر (البهم) عند المدمن على الكحول (Alcoholic vagal neuropathy).

- ونشرت المجلة في العدد (٢٣) الصادر في المحرم ١٤٢٧ هـ الموافق يناير ٢٠٠٦م بحثاً للدكتور هشام بدر الدين المشد عن : (الطب النبوي والتهاب الجيوب الأنفية)،



وتنميط الميكروبات، وقد أظهرت النتائج أثر العسل التثبيطي من خلال البيئة، كما تم استخلاص بعض مضادات النمو البكتيري من الأعسال التي تمت الدراسة عليها باستخدام المذيبات العضوية.

-وفي العدد (٢٠) الصادر في المحرم عام ١٤٢٦ هـ الموافق فبراير ٢٠٠٥م كتب



د. شبيب بن علي الحاضري، بحثاً علمياً بعنوان: (أضرار الخمر على الجهاز التنفسي)، مستعرضاً أضرار الخمر على أعضاء الجهاز التنفسي ابتداءً من الأنف، والفم، والبلعوم ، والحنجرة مروراً بالقصبة الهوائية، وانتهاء بالرتتين، مبينا ما توصل إليه الباحثون من أثر الإدمان على تعاطي الكحول في رفع نسبة حدوث هبوط (فشل) في عملية التنفس عند المصابين باعتلال الرئة الانسدادية المزمن (COPD) ؛ لما للكحول من تأثير سمي مباشر على مراكز التنفس في الدماغ



الإنسان) ، تناول فيه تأثير ذلك أعضاء الوضوء في استعادة الجسم توازنه ونشاطه وأثر الوضوء على كل عضو من أعضاء الوضوء، وذلك من خلال دراستين ميدانيتين، الأولى بالتعاون مع وحدة المختبرات بمستشفى الملك خالد بمدينة الملك عبد العزيز الطبية التابعة للحرس الوطني بجده، والثانية بالتعاون مع وحدة المختبرات بمستشفى النور التخصصي بمكة المكرمة.

وفي العدد (٦١) الصادر بتاريخ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ الموافق ديسمبر ٢٠٢٠م كتبت الدكتورة إيمان أحمد يوسف الفقي مقالا علمياً عن (الحبة السوداء قوة وقائية وشفائية في مواجهة الفيروسات)، تناولت

**المبالغة في الاستنشاق  
وقاية من التهاب الجيوب  
الجارأففية.**

- وفي العدد (٤٣) الصادر في ربيع الثاني ١٤٣٤هـ الموافق فبراير ٢٠١٣م، كتبت الدكتورة صهباء محمد بندق موضوعاً عن: (حبة البركة كعلاج للبلهارسيا المعدية من خلال تقوية جهاز المناعة)؛ حيث تناولت فيه ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة أن الحبة السوداء تقوم بدور هام في تنشيط وتقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان العائل للبلهارسيا ليدافع عن نفسه ضد البلهارسيا المعوية، مما يفسح



المجال للاستشفاء بالحبة السوداء من خلال تقويتها لجهاز المناعة للدفاع الذاتي لجسم المصاب ومساعدته في التغلب على مستضدات البلهارسيا.

- نشرت المجلة في العدد (٥٩) الصادر بتاريخ ذي القعدة ١٤٤٠هـ الموافق يوليو ٢٠١٩م بحثاً للدكتور عادل بن عمر بصفر عن: (الوضوء وأثره على صحة جلد

- وفي العدد (٢٨) الصادر في شهر رمضان ١٤٢٨هـ الموافق سبتمبر ٢٠٠٧م نشرت المجلة مقالا للدكتور محمد إبراهيم دودح - رحمه الله - بعنوان: (الإيمان شفاء للنفوس والأبدان)، تناول فيه دور الإيمان في الوقاية من الاضطرابات وإحداث التوازن النفسي والجسدي.

- كتبت الدكتورة هدى جلال عبد الوهاب في العدد (٣٩) الصادر في شهر رمضان ١٤٣٢هـ الموافق أغسطس ٢٠١١م مقالا عن (الحقائق العلمية في تسويك اللسان وتنظيف الفم جيدا لدرجة الإحساس بالتقيؤ)، وأنها طريقة ضرورية لإزالة أي أثر للبكتريا الضارة في الفم ، والتي تسبب مختلف أنواع التهابات اللثة، والفم، والعمل على تنظيف اللسان بطريقة طويلة تنتهي إلى نهاية السطح الداخلي للسان، في إشارة إلى سبق الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "أثبت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده، يقول: (أُعْ) ، والسواك في فيه كأنه يتهوع" ؛ وقد قام صلى الله عليه وسلم بتلك الإجراءات الصحية في زمن لم تتوفر فيه أي وسائل المعرفة العلمية لمعرفة أثر ذلك الفعل.

**الإيمان شفاء للنفوس  
وتحقيق للتوازن النفسي  
والجسدي.**

لاحتوائه على مادة الهلثينين وحمض البنزوات، وهي مادة مطهرة ومضادة للجراثيم.

- نشرت المجلة في العدد (٤٩) الصادر في جماد الأولى ١٤٣٦هـ الموافق فبراير ٢٠١٥م بحثاً عن القسط الهندي للدكتورة منال القطان، استعرضت فيه: (تأثير القسط الهندي على بعض الكائنات الممرضة للجهاز التنفسي في الإنسان).



- وفي العدد (٦٠) الصادر في جمادى الأولى ١٤٤١هـ الموافق يناير ٢٠٢٠م نشرت المجلة دراسة محكمة بالمستشفى التعليمي بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل - المنطقة الشرقية - بالملكة العربية

**نشرت المجلة ملخصاً لأول رسالة علمية عن أثر الحجامه في علاج مرض الربو الشعبي.**

جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق أبريل ٢٠١٠م خلاصةً لرسالة ماجستير بعنوان: (أثر الحجامه في علاج الربو الشعبي) للباحث محمد السيد عبد الجواد، وهي أول رسالة ماجستير قدمت في مصر تبحث عن أثر الحجامه في علاج الربو الشعبي بإشراف وزارة الصحة المصرية.



- وفي العدد (٣٧) الصادر في شهر رمضان ١٤٣١هـ الموافق أغسطس ٢٠١٠م كتبت الأستاذة لينا عبد الكريم بازمقلا عن: (القيمة العلاجية للقسط الهندي)، تناولت فيه ما أثبتته الدراسات العلمية من فعالية عود القسط في علاج ومكافحة مسببات العديد من الأمراض، ومن ذلك مكافحته لبعض أنواع الفطريات، والخميرة المسببة لأمراض الجهاز التنفسي في الإنسان؛ حيث إن القسط يساعد على علاج التهابات اللوزتين بشكل فعال



فيه تأثيرات الحبة السوداء في تعزيز القوة المناعية وإعتبارها مصدرًا مهمًا للعديد من مضادات الأكسدة الهامة، مثبتة من خلال الدراسة أن للحبة السوداء أو زيتها تأثيراً، على أنسجة الرئة في حيوانات التجارب، موضحة أن الثيموكينون مادة فعالة في الحبة السوداء كمضاد للالتهابات، ومضاد للإنتان، وتجلط الدم، كما أثبتت أن مادة النيجللون (Nigellone) الموجودة في الحبة السوداء لها تأثير مضاد لتقلص وانقباض القصبة الهوائية، وفي زيادة العمل الهدي بها.

**ثانياً: مجال الطب العلاجي.**

- نشرت المجلة في العدد (٣٦) الصادر في

**الحبة السوداء تنشط وتقوي جهاز مناعة الإنسان.**

## القسط الهندي: علاج فعال لمكافحة الفطريات والخميرة المسببة لأمراض الجهاز التنفسي

السعودية ، قام بها فريق علمي مكون من د. إياد محمد سالم، وأ. د. عبد الله باموسى، ود. أحمد بدر، ود. راكش جببنا، ود. عبد السلام النور، حول تأثير الحبة السوداء على التهابات الممرات الهوائية، وتضييق جريان الهواء عند مرضى الربو، وقد خلصت الدراسة إلى إثبات أن للحبة السوداء تأثيراً موسعاً للممرات الهوائية على مرضى الربو أعطوا من جرعة (٢) جرام، كما أن لها تأثيراً مضاداً لالتهاب الممرات الهوائية، وتحسين مدى التحكم بالأعراض الإكلينيكية، وقد أوصى فريق البحث بمتابعة دراسة أثر الحبة السوداء على عدد أكبر من المرضى، بواسطة دراسات إكلينيكية محكمة، وأوصى الفريق بدراسة أثر الحبة السوداء



على عدد أكبر من محفزات الالتهاب على مستوى الممرات الهوائية؛ لمعرفة آلية هذا التأثير، كما أوصى الفريق بدراسة أثر الحبة السوداء على مرض الربو الذي لا يستجيب لعلاج الاستيرويدات وبقية الأمراض التحسسية مثل تحسس الأنف والجلد.

## ثالثاً: مجال الوقاية من الفيروسات.

- تحدث الدكتور نزار عبد المعطي في نافذة علمية في العدد (١٥) من المجلة الصادر في ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق مايو ٢٠٠٣ م عن: ( فيروس التهاب الرئوي (سارس)، مبينا عدد الإصابات ونسب الوفيات وطرق التشخيص وطرق العلاج، وما وصلت إليه الإحصاءات عن القدرات المرضية المميته لهذا الفيروس.

- وفي العدد (١٧) الصادر بتاريخ ذي الحجة ١٤٢٤هـ الموافق فبراير ٢٠٠٤ م نشرت المجلة للدكتورة سميحة علي مراد مقالا بعنوان: (نصائح لمرضى التهاب الكبد الفيروسي) المعروف اختصاراً بفيروس الكبد (C)، واصفةً إياه بالوباء الصامت؛ حيث يبقى مجهولاً بشكل نسبي وعادة ما يتم تشخيصه في مراحله المزمنة، وذكرت أنه يصيب حوالي ١٧٠ مليون إنسان في العالم، منهم ٩ ملايين في أوروبا و٤ ملايين في أمريكا؛ لذلك فهو يشكل تهديداً للصحة العامة، إذ بإمكانه أن يكون الوباء العالمي القادم.

- نشر الدكتور سعد عبد الله الصاعدي وآخرون في العدد (٢٧) الصادر في جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق مايو ٢٠٠٧ م دراسة عن: البيولوجيا الجزيئية للحجامة في مرضى التهاب الكبد الفيروسي المزمن (C)، بينوا فيها الدور البارز للحجامة في تقوية جهاز المناعة.

- وفي العدد (٣٧) كتب الدكتور عصام الحبوه مقالا علمياً عن: (التهاب الكبد الوبائي (C)، تناول فيه تعريف المرض وأعراضه وأسباب الإصابة به وطرق العلاج منه.

- أما في العدد (١٤) الصادر في ذي القعدة ١٤٢٣هـ الموافق يناير ٢٠٠٣ م فقد نشرت المجلة ملخصاً لرسالة ماجستير من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة للطالبة نجلاء بنت سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بعنوان: (بعض الخصائص التركيبية والمناعية لفيروس هيربس



تعين القيمة العلاجية للقسط الهندي (Saussurea lappa) باستخدام عدة متغيرات

التعريف	الاسم العلمي
عقود الوباء الفيروسي (SARS) باسم الفيروس، وهو من عائلة الفيروسات التاجية، الذي من شأنه التسبب في التهابات الجهاز التنفسي الحادة، التي قد تتطور إلى التهاب رئوي حاد، وقد تؤدي في بعض الحالات إلى الموت.	SARS-CoV-2
التهاب الكبد الفيروسي (HBV) من عائلة الفيروسات الخيطية، الذي من شأنه التسبب في التهاب الكبد، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى الإصابة بالسرطان.	HBV
التهاب الكبد الوبائي (HCV) من عائلة الفيروسات الخيطية، الذي من شأنه التسبب في التهاب الكبد، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى الإصابة بالسرطان.	HCV
التهاب الكبد الوبائي (HDV) من عائلة الفيروسات الخيطية، الذي من شأنه التسبب في التهاب الكبد، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى الإصابة بالسرطان.	HDV
التهاب الكبد الوبائي (HEV) من عائلة الفيروسات الخيطية، الذي من شأنه التسبب في التهاب الكبد، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى الإصابة بالسرطان.	HEV





بنوا المستشفيات المتخصصة في معالجة الأمراض.

- وكتب الدكتور عبدالجواد الصاوي في ذات العدد موضوعاً بعنوان : (منهج الإسلام في الوقاية من الأوبئة إعجاز علمي)، مبيناً فيه أن غسل اليدين بالماء والصابون، وتغطية الفم والأنف عند السعال والعطس، احتياطات وقائية للالتهابات التنفسية عامة، وأن في الإسلام منهجاً متكاملًا للوقاية من الأمراض والأوبئة، وأن في الشريعة الإسلامية أوامر تحث على الطهارة في جميع الأصعدة، كما أن النهي عن النفخ والتنفس في آنية الأكل والشرب له دلالاته الوقائية العظيمة التي ما عرفت إلا مؤخرًا، مبيناً أن تحريم الشريعة الإسلامية أكل لحوم الحيوانات الميتة والدم، ولحم الخنزير، والسباع والطيور الجارحة، وأكل لحوم الحيوانات والطيور التي تتغذى على القاذورات لها حكم ومقاصد صحية، مؤكِّدًا أن العزل والحجر الصحي هي قواعد طبية إسلامية.

## للإسلام منهج متكامل في الوقاية من الأمراض والأوبئة.

“الدخول إلى البلد المصاب بالطاعون كما أنها تمنع أهل تلك البلدة من الخروج منها، وأن التعاليم الوقائية في الإسلام تتفق مع كل الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً، وبين أن المسلمين كانوا أول من طبق الحجر الصحي للوقاية من الأمراض المعدية كالطواعين والأوبئة، كما كانوا أول من أسس الدوائر الصحية، وعينوا المفتشين الصحيين في المدن، وأول من



عن: (العدوى والطاعون بين الطب وأحاديث المصطفى ﷺ)، مبيناً فيه أن لا تعارض بين قوله ﷺ: (لا عدوى) وقوله ﷺ: (لا يُورِدُ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحٍّ)، وأن دخول الميكروبات المعدية إلى الجسم لا يعني المرض حتماً. وأن آثار المرض تظهر في فترة الحضانة، موضحاً أن (الإيدز)، يعمل على الإضعاف التام لجهاز المناعة، مقررًا أن معرفة الأسباب واتخاذها لا ينافي التوحيد، كما أشار إلى أن العلماء المسلمين الإجماع من الفقهاء والمحدثين ميزوا بين الطاعون والوباء، وبينوا أن كل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً.

-وتناول الدكتور صالح عبد القوي السنباني في العدد (٦١) أيضاً، سبق السنة النبوية إلى وضع قواعد الحجر الصحي بمفهومه الحديث؛ حيث أصبح من المعلوم حالياً أن الحجر الصحي من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية، وظهر بجلاء أن الأحاديث النبوية الشريفة قد حددت مبادئ الحجر الصحي بأوضح ما يكون التحديد، فهي تمنع الناس من

## وختاماً ..

فإن كل ما ورد ذكره من الكتابات التي قامت بنشرها مجلة الإعجاز العلمي قد سبقت العديد من الوسائل والنوافذ الإعلامية المحلية والإقليمية والعالمية جذبت أنظار أهل الاختصاص من العلماء والمثقفين إلى بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وإلى سبق نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة باعتبارهما وحياً من عند الله أوحاه الله تعالى إلى نبينا محمد ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى - وفيها الخير والنفعة للبشرية جمعاء، كما أوضحت تلك الكتابات ريادة هذه المجلة وتميزها - بفضل الله - انطلاقاً من رسالتها باعتبارها منبراً إعلامياً علمياً عالمياً يستنير بأنوار الوحي ويهتدي بهديه والحمد لله رب العالمين.

# أثر الحقائق العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين

(نموذج تطبيقي على المقصود  
بالظلمات الثلاث) (\*)

في قوله تعالى:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ  
خَلْقٍ فِي ظُلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الرُّم: ٦]

د. رياض عيدروس عبد الله

باحث في التفسير وعلوم القرآن

إن استعانة المفسر بمعلومات عصره منهج سار عليه كثير من المفسرين قديماً وحديثاً، ولذلك فإن معرفة الحالة التي عاشها المفسر في عصره في جميع جوانب حياته، لها أثر في معرفة منهجه وأسلوبه وترجيحاته، وبين يدي القارئ الكريم بحث تطبيقي استكمالاً لبحث ضوابط الاستعانة بالحقائق العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين المنشور في العدد السابق، وهو نموذج تطبيقي على المقصود بالظلمات الثلاث، تأكيداً لذلك المنهج الذي سار عليه المفسرون مما يعطي أهمية بالغة لبحوث الإعجاز العلمي في تفسير الآيات الكونية.

(\*) أصل هذا الموضوع أطروحة دكتوراه للباحث بعنوان: أثر الحقائق العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين من خلال الثلث الأخير للقرآن الكريم (دراسة تحليلية - مقارنة).

على صحة صفة الإيقاد التي كانت مستبعدة في الذهن ، مع بقاء معنى الامتلاء صحيحاً؟! فاستعانة المفسر بمعلومات عصره منهج سار عليه كثير

**أكدت الحقائق العلمية صحة ما ذهب إليه جمهور المفسرين في تفسيرهم للظلمات الثلاث: بظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.**

” الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد.. فقد كان المفسرون رحمهم الله تعالى يستشهدون بالواقع في تفسير

من المفسرين قديماً وحديثاً ، ولذلك فإن معرفة الحالة التي عاشها المفسر في عصره في جميع جوانب حياته ، لها أثر في معرفة منهجه وأسلوبه وترجيحاته .

## النموذج التطبيقي:

وفي هذا البحث نأخذ نموذجاً تطبيقياً لأثر الحقيقة العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين في المقصود بالظلمات الثلاث في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ الزمر: ٦. وذلك في المطالب الآتية:

### المطلب الأول: المعنى اللغوي للظلمات:

ظُلُمَاتٌ: جمع ظُلْمَةٌ ، مثل: غُرْفَاتٍ، وَالظُّلْمَةُ ، وَالظُّلْمَةُ: ذهاب النور، وهي خلاف الصُّبَاءِ والنور، وتجمع الظُّلْمَةُ على ظُلْمٍ وظُلُمَاتٍ، وظُلُمَاتٍ، وَالظُّلَامُ: اسم يجمع ذلك كَالسَّوَادِ (٨). وقد جاءت لفظة (ظُلُمَاتٍ) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ومفرداتها (ظُلْمَةٌ) ، ولفظ الجمع (ظلمات): من جموع القلة التي تفيد عدداً من الظلمات أقلها ثلاث وأكثرها عشر ، لأنَّ ما فوق ذلك تقول إحدى عشرة ظلمة ، وهو من جموع الكثرة.

بعض آيات القرآن الكريم، ويستدلون ببعض الظواهر الكونية لتبيين فهمهم لها، فمثلاً عند تفسيرهم للمراد بالبحر المسجور كانت أغلب تفسيراتهم تدور حول معنيين، الأول: المسجور بمعنى: الموقد ناراً، وهو ما روي عن مجاهد، والثاني بمعنى: الممتلئ، وهو ما روي عن قتادة، وقد أخذ شيخ المفسرين الإمام الطبري المعنى الثاني وهو الامتلاء معللاً اختياره بأنَّ البحر غير موقد في الواقع اليوم حيث قال: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أنَّ الأغلب من معاني السجر: الإيقاد ... فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر، وكان البحر غير موقد اليوم، وكان الله -تعالى ذكُرُه- قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد ، صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء؛ لأنه كل وقت ممتلئ» (١)، وهذا الاختلاف سببه الاشتراك اللفظي لكلمة (سَجَرَ)، وهو من اختلاف التنوع ، وقد جمع ابن عطية بين المعنيين بقوله: «وإلى هذا يعود القول الأول (يقصد: الموقد ناراً)؛ لأن قولهم سجرت التنور معناه: ملأته بما يحترق ويتقد» (٢) ، وذكر أبو حيان نفس هذا المعنى (٣) ، وللمفسرين في ذلك أقوال أخرى ليس هذا محل بسطها وكلها صحيحة يكمل بعضها بعضاً (٤).

والشاهد في هذا الأمر اختيار الطبري للمعنى الثاني (المملوء) (٥) ، وتركه للمعنى الأول (الموقد) (٦) بناءً على عدم ظهور أي شيء يفيد إيقاد النار في البحر ، بحسب مشاهدتهم ومعلومات عصرهم ، مع أنه كان قد فسّر السَجَرَ في موضع قبل هذا بالإيقاد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ غافر: ٧٢، حيث قال: «ثُمَّ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ يُحْرَقُونَ، يَقُولُ: تُسَجَرُ بِهَا جَهَنَّمُ: أَي تُوَقَّدُ بِهِمْ» (٧).

ولقائل أن يقول: كيف وقد علم اليوم بل وشوهد بالعيان توقد قيعان البحار بالنار، ووُثِّقت غواصات الأعماق هذه الظاهرة العجيبة والآية العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى ، أفلا يكون هذا شاهداً

(١) جامع البيان للطبري ، (٤٥٩/٢٢) ، (٤٦٠).

(٢) المحرر الوجيز، (١٦٧/٥).

(٣) لبحر المحيط ، (١٤٤/٨).

(٤) أثر الحقائق العلمية في الترجيح بين أقوال المفسرين - للباحث، ص (٣٧٧).

(٥) وممن اختار معنى الامتلاء: الزمخشري، وابن جزي ، والسعدي، انظر: الكشاف،

(٤١١/٤)، التسهيل لعلوم التنزيل ، (٣١١/٢) ، تيسير الكريم الرحمن، ص (٨١٣).

(٦) وممن اختار معنى الإيقاد: الخازن، والشوكاني، والألوسي . [انظر: لباب التأويل،

(١٩٨/٤)، فتح القدير، (٩٤/٥) ، روح المعاني، (٢٨/٢٧).

(٧) جامع البيان للطبري ، (٣٦٤/٢٠).

(٨) معجم مقاييس اللغة ، (٤٦٨/٣) ، مختار الصحاح، ص (٤٠٧) ، لسان العرب ،

(٣٧٨/١٢) ، المصباح المنير، (٣٨٦/٢).

## المطلب الثاني: أقوال المفسرين:

يمكن جمع آراء المفسرين في المقصود بالظلمات الثلاث في أربعة أقوال:

**القول الأول:** ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، رواه الطبري عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني:** ظلمة صلب الرجل، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وهو مذهب أبي عبيدة<sup>(٢)</sup> في مجاز القرآن<sup>(٣)</sup>.

**القول الثالث:** ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة الليل، وهو قول سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>.

**القول الرابع:** ظلمة النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، فإذا صار عظاماً مكسوة لحماً عُرف هل هو ذكر أو أنثى، فزالته عنه ظلمات الجهل، وصار آخر، وهو قول البقاعي<sup>(٥)</sup>، في نظم الدرر<sup>(٦)</sup>.

## المطلب الثالث: دراسة أقوال المفسرين:

القول الأول الذي يفسر الظلمات الثلاث بظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، هو قول جمهور المفسرين كما ذكر ابن الجوزي<sup>(٧)</sup>، ولم يذكر الطبري قولاً غيره في تفسيره حيث قال: «وقوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾، يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»<sup>(٨)</sup>.

ويختلف القول الثاني عن الأول بذكر ظلمة صلب الرجل بدلاً من ظلمة المشيمة<sup>(٩)</sup>، ويختلف القول الثالث عن القولين السابقين بذكر ظلمة الليل بدلاً من ظلمة البطن في القول الأول، وظلمة صلب الرجل في القول الثاني.

وذكر ظلمة الليل في هذا القول ليس فيها زيادة في المعنى؛ لأن الجنين يستمر تخلقه في كل لحظة سواء ليلاً أم نهاراً.

وتجتمع الأقوال الثلاثة جميعها في أن الظلمات التي تحيط بالجنين هي ظلمات حسية لا معنوية.

وأما في القول الرابع وهو قول البقاعي فإنه يفسرها بظلمات معنوية حيث قال: «ولما كان الحيوان لا يعرف ما هو إلا في التطوير الرابع، وكان الجهل ظلمة؛ قال: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، فإذا صار عظاماً مكسوة لحماً عُرف هل هو

ذكر أو أنثى فزالته عنه ظلمات الجهل، وصار آخر، وقيل: ظلمة البطن والرحم والمشيمة»<sup>(١٠)</sup>.

ويفهم من كلامه أن الجهل بالنطفة هي الظلمة الأولى، والجهل بالعلقة هي الظلمة الثانية، والجهل بالمضغة هي الظلمة الثالثة.

ولكنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ عبس: ١٩، قال: ﴿فَقَدَرَهُ﴾ أي: هياها لما يصلح من الأعضاء الظاهرة والباطنة

والأشكال والأطوار إلى أن صلح لذلك ثم جعله في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، ثم الرحم، ثم المشيمة، أو هي على ما قال أهل التشريح

ثلاثة أغشية: أحدها: المشيمة تتصل بسرة الجنين تمده بالغذاء،

(١) جامع البيان للطبري، (٢٥٨/٢١).

(٢) هو معمر بن المثنى اللغوي البصري، وهو أول من صنف في غريب الحديث، وتصانيفه تقارب مائتي تصنيف، قال عنه أبو نواس: أديم طوي على علم، ولد سنة ١١٢هـ، ومات سنة ٢٠٩هـ، وقيل ٢١١هـ، وقد قارب المائة. [انظر: طبقات المفسرين - للدواودي، ٣٣٦/٢-٣٣٨].

(٣) مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى، (١٨٨/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٦/١٥)، فتح القدير، (٤٥٠/٤).

(٥) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مؤرخ، أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، ولد سنة ٨٠٩هـ، وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥هـ. [انظر: البدر الطالع، ١٩/١، الأعلام للزركلي، ٥٦/١].

(٦) نظم الدرر، (٤٢٢/٦).

(٧) زاد المسير، (١٦٣/٧).

(٨) جامع البيان للطبري، (٢٥٨، ٢٥٩/٢١).

(٩) وهو مذهب أبي عبيدة، وتعقبه النحاس بأن القول الأول أصح. انظر: معاني القرآن للنحاس، (١٥٤/٦)، ومن المتأخرين من ذكر الصلب بدلاً من المشيمة مثل: محمد الخطيب، انظر: أوضح التفاسير - محمد الخطيب، ص (٥٦١)، ومنهم من ذكره على التخيير مثل المظهري حيث قال: «ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن». التفسير المظهري - محمد ثناء الله العثماني المظهري، ص (٣٣٥٦)، ووهبة الزحيلي حيث قال: «هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، أو الصلب». التفسير المنير - وهبة الزحيلي، (٤٤٨/٢٣)، ثم قال في موضع آخر: «وتكون مراحل الخلق في ظلمات أغشية ثلاثة، هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، والأغشية - كما يقول الأطباء - هي الغشاء المنباري، والخربون، والغشاء اللفانفي» التفسير المنير - وهبة الزحيلي، (٢٥١/٢٣)، ويبدو لي أنه ذكر الصلب في الموضع الأول لمجرد التفصيل وبيان أن هذا القول مذكور عند المفسرين، ويؤيد كلامه الأخير أنه فسرها بالمشيمة والأغشية في التفسير الوسيط الذي ألفه بعد التفسير المنير والتفسير الوجيز حيث قال في الوسيط: «هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة والأغشية» التفسير الوسيط للزحيلي، (٣/٢٢٢٤).

(١٠) الدرر، ٤٢٣/٦، ٤٢٢.

والثاني: يقبل بَوَلَّه، والثالث: يقبل البخارات التي تصعد منه بمنزلة العرق والوسخ في أبدان الكاملين»<sup>(١)</sup>.

## يزداد اليقين بكلام الله تعالى بمعرفة أنَّ الجنين لا ينمو بصورة سليمة إلا في جوٍّ مظلم.

الرأي الأول: أنها ظلمة جدار البطن، وظلمة جدار الرحم، وظلمة غشاء المشيمة، وهو رأي أغلب الباحثين في التفسير العلمي<sup>(٤)</sup>.

الرأي الثاني: أنها ظلمات الأغشية الثلاثة المحيطة بالجنين<sup>(٥)</sup>، وهو رأي محمد محمود عبدالله<sup>(٦)</sup> في كتابيه: الهندسة الوراثية<sup>(٧)</sup>، والطب القرآني<sup>(٨)</sup>، وهاني بن مرعي القليبي<sup>(٩)</sup>،

فتأمل كيف أن كلامه هذا الأخير يختلف عن كلامه السابق، ففي الموضوع الأول يتكلم عن ظلمات معنوية، وفي الثاني يتكلم عن ظلمات حسية، وهي الظلمات التي ذكرها عامة المفسرين.

### المطلب الرابع: الحقائق العلمية:

يذكر الأطباء والباحثون في الإعجاز العلمي أن الجنين محاط بثلاث ظلمات يسببها:

١- جدار البطن، ٢- جدار الرحم، ٣- غشاء المشيمة<sup>(٢)</sup>.

ويحاط الجنين مباشرة بغشاء المشيمة الذي يتكون من ثلاثة أغشية هي:

١- غشاء السُّلَى (الأمونيوم) ويحيط بالجنين مباشرة، ٢- الغشاء المشيمي (الكوريون)، ٣- الغشاء الساقط.

ووجود الجنين في وسط مظلم داخل الرحم هو أمر مهم جداً لنموه، حيث تبدأ رحلة الخلق أو التَّخَلُّق منذ سقوط النطفة الأمشاج في الرحم، وانغراسها فيه، وهنا تتمثل عناصر الظلمة واضحة على الجنين في هذه المرحلة وما يليها، وهذا ما يقوم به جدار البطن، ثم جدار الرحم، ثم ما يحيط بالجنين من أغشية تسمى بالمشيمة، ولو لم يتوفر له هذا الوسط المظلم لما ولد الجنين في صورة سليمة، ولكان مصاباً بعاهاات خَلْقِيَّة، فقد يتسبب الضوء في إتلاف شبكية العين، قبل اكتمال نموها، كما أن الضوء قد يؤدي خلايا الجنين، وقد يكون فتاكاً بالنسبة إلى البويضة؛ ولأن الجنين يعتمد على استنساخ الخلايا، فإذا تأذت الخلايا الأولى تولدت الخلايا المنسوخة مع الأذى الذي لحق بالأولى.

ولكي يتم الخلق كاملاً قوياً دون تشوه فلا بد إذاً أن يتم ذلك في جوٍّ مظلم، فالخلايا الابتدائية لا تعيش في نور الشمس، بل تجف أو تتشوه أو تموت<sup>(٣)</sup>.

ولكن تنوعت آراء المعاصرين في تفسير الظلمات الثلاث على ثلاثة آراء:

(١) نظم الدرر، (٣٢٩/٨)، (٣٢٨).

(٢) انظر: البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية - عبد المجيد العرجاوي، ص (١٣٤).

(٣) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - محمد علي البار، ص (٤٢٣)، خلق الإنسان بين العلم والقرآن - حمد الرقعي، ص ٨٧، ٧٧، تفسير الآيات الكونية - زغلول النجار، (٢٠٩/٣)، (٢٠٨)، شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (٧٥/٣).

(٤) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - البار، ص (٤٢٣)، خلق الإنسان بين العلم والقرآن - الرقعي، ص (٨٧، ٧٧)، تفسير الآيات الكونية، (٢٠٩/٣)، (٢٠٨)، البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، ص ١٣٤، الإعجاز القرآني في الخلق الإنساني - حيدر الجدي، ص (٨٧).

(٥) نقل الدكتور محمد علي البار تحت عنوان الظلمات الثلاث قول المفسرين بأنها جدار البطن والرحم والمشيمة، ثم ذكر الأغشية الثلاثة المحيطة بالجنين، وفضل فيها كثيراً، مستشهداً بالأشكال التوضيحية والصور، وقد فهم بعضهم من كلامه أن هذه الأغشية هي الظلمات الثلاث في رأيه مع أنه لم يصرح بذلك [انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - البار، ص ٤٢٣]، وقد علق على كلامه طبيب التوليد الدكتور مأمون شقفة صاحب كتاب (القرار المكين) بقوله: «فكأنه يعتبرها [أي: محمد البار] هي الظلمات الثلاث دون أن يقول رأيه بوضوح». [القرار المكين - مأمون شقفة، ص ٢٧٣]، ولكن بعد تواصلني بالدكتور البار أرسل لي جواباً صوتياً مبيناً فيه أنها كلها صحيحة بل أن جدار البطن ثلاث طبقات، وجدار الرحم ثلاث، والأغشية ثلاثة فتكون جميعها صحيحة، ولا إشكال في ذلك وكان هذا التسجيل بتاريخ ١١ جمادى الأولى ١٤٤٣هـ - الموافق ١٥/١٢/٢٠٢١م.

(٦) مدرس علوم القرآن بالأزهر. [انظر مقدمة كتابه: مظاهر كونية في معالم قرآنية، ص ٣].

(٧) انظر: الهندسة الوراثية في القرآن وأسرار الروح وخلق الإنسان - محمد محمود عبد الله، ص ٢٩٦.

(٨) انظر: الطب القرآني بين الغذاء والدواء - محمد محمود عبدالله، ص ٢٤٠.

(٩) لم أجد له ترجمة.

العلمي ، على ما أسموه بـ(حمل الرجال) وذلك بزرع النطفة الملقحة في أحشاء الرجل هي تجارب لن تنجح لأنها تتعارض مع الآية الكريمة التي تجعل الحمل في بطون الأمهات<sup>(٦)</sup> .

#### المطلب الخامس: مناقشة الآراء الطبية:

في الرأي الأول الذي يفسر الظلمات الثلاث بأنها: ظلمة جدار البطن، وظلمة جدار الرحم، وظلمة غشاء المشيمة، هو قول يتوافق فيه رأي الأطباء مع قول جمهور المفسرين<sup>(٧)</sup>، ويذهب إليه كثير من المفسرين المتأخرين<sup>(٨)</sup> .

وقد استبعد أصحاب هذا الرأي ما جاء في الرأي الثاني من أنها الأغشية المحيطة بالجنين؛ لأن الأغشية الثلاثة بمجموعها لا تعطي إلا ظلمة واحدة<sup>(٩)</sup> .

#### واستبعادهم لهذا يضعهم أمام اعتراض هو:

إذا كانت هذه الأغشية كل واحد منها له شفافية تامة فإنها لا يمكن أن تحدث ولو ظلمة واحدة، أما إنها بمجموعها قد أحدثت ظلمة واحدة - بحسب رأيكم - فلا شك أن كل واحد منها قد حجب جزءاً

(١) هو الشيخ مجدي فتحي السيد إبراهيم، ولد سنة ١٩٦٣م، من مدينة طنطا، تخرج من كلية دارالعلوم بجامعة القاهرة، وقام بتأليف وتحقيق العديد من الكتب. [انظر: موقع المكتبة الشاملة].

(٢) الموسوعة العلمية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية - هاني بن مرعي القلبي، ومجدي فتحي السيد، ص(١٥٦، ١٥٧).

(٣) الدكتور عدنان بن محمد بن فايز الحارثي الشريف، من مواليد: ١٣٧٩هـ، دكتوراه في الحضارة الإسلامية، عميد شؤون المكتبات بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، له العديد من المؤلفات في التاريخ، والتفسير العلمي. [انظر: موقع جامعة أم القرى].

(٤) وهو ما يسمى عند الأطباء بقناة فالوب.

(٥) من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم - عدنان الشريف، ص(٨٢-٨٤).

(٦) من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم، ص(٨٠-٨٨).

(٧) زاد المسير، (١٦٣/٧).

(٨) الموسوعة القرآنية - إبراهيم الإبياري، ص(٤٩٢١)، التفسير الوسيط لطنطاوي، ١٩٨/١٢، التفسير الواضح - محمد محمود حجازي، ٢٥٧/٣، أيسر التفاسير للكلام العلي الكبير، ٤٦٨/٤، ٢٢٢٤/٣، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب، ١١٢٠، ١١٢١/١٢، التفسير الوسيط - وهبة الزحيلي، ٢٢٢٤/٣، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ص(٦٨٤).

(٩) البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، ص(١٣٥، ١٣٤)، تفسير الآيات الكونية، ٢٠٩/٣.

ومجدي فتحي السيد<sup>(١)</sup>، في كتابهما: الموسوعة العلمية<sup>(٢)</sup>.  
الرأي الثالث: يرى عدنان الشريف<sup>(٣)</sup> أن هذه الظلمات حسب الترتيب الزمني.. وهي:

الظلمة الأولى: ظلمة تجويف أنبوب الرحم<sup>(٤)</sup> حيث تخصب فيه البويضة.

الظلمة الثانية: ظلمة تجويف الرحم، وهي ظلمة مرحلة العلقه عند التصاقها بغشاء الرحم والاختفاء وراءه بعد اليوم السابع من الحمل.

الظلمة الثالثة: ظلمة الأغشية والسائل الأمنيوسي المحيطة بالجنين.

وهذه الظلمات هي تجاويف لها تحديد تشريحي، بالإمكان رؤيتها اليوم بواسطة آلات التنظير الجوفي بعد إنارتها<sup>(٥)</sup>.  
ويستدل على ما ذهب إليه بالآتي:

- إن تخلق الجنين كما تنص الآية يبدأ في بطون الأمهات، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، والظلمات يجب أن تكون في البطن وليس في الرحم.

ويمكن أن تكون الإشارة بالإعجاز العلمي للقرآن في هذه الآية على حالات حمل استثنائية نادرة حدثت في أحشاء البطن، أي: خارج الرحم، والآية الكريمة تشمل الإشارة إلى مثل هذه الحالات.

- إن جملة ﴿خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ تضعنا في صورة تطويرية ديناميكية متحركة للمراحل التي يمر فيها الجنين داخل الظلمات الثلاث، بمعنى أنه ينتقل من ظلمة إلى ظلمة خلال أطواره. وعلى هذا فإن تفسيرها بجدار البطن والرحم والمشيمة يعطي تفسيراً غير دقيق من الوجهة التشريحية.

والقول بأنها الأغشية التي تحيط بالجنين داخل الرحم يحمل النص القرآني ما لم ينص عليه، فلقد حددت الآية أن تخلق الجنين يمر في ظلمات ثلاث في بطون أمهاتنا وليس في أرحام أمهاتنا، والرحم جزء من البطن وليس البطن كله، كما أن الأغشية المحيطة بالجنين تحدث ظلمة واحدة وليس ظلمات ثلاث.

- ثم يستدل بقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ على أن التجارب التي يجريها بعض الأطباء من المصابين بهوس الجنون

على نحو آخر، وذلك باعتبار أن النطفة الأمشاج التي تنشط إلى العديد من الخلايا، هذه الخلايا موجودة داخل غشاء يحيطها من كل الجهات، وهو غشاء البويضة،

### البطن والرحم والمشيمة أو طبقات كل واحد منها هو تفسير علمي مقبول للآية في ضوء المعطيات العلمية حتى الآن.

وهذه البويضة موجودة داخل قناة ترتبط بالرحم -قناة فالوب- وهذه القناة موجودة داخل البطن، وهكذا تتمثل هنا ثلاث ظلمات تحيط بالخلق: ظلمة البطن، وظلمة قناة الرحم (قناة فالوب)، وظلمة غشاء البويضة، فتكون الظلمات هنا في البطن وليست في الرحم<sup>(٦)</sup>. وفي مرحلة تالية تقع البويضة المخصبة في الرحم، وأثناء وقوعها تتخلى البويضة عن هذا الغشاء، وتدخل بطانة الرحم لتستبدل به فيما بعد الغشاء المشيمي، وتصبح الظلمات الثلاث: ظلمة البطن، وظلمة جدار الرحم، وظلمة الغشاء المشيمي<sup>(٧)</sup>.

ورأي الباحث: أن هذا قد يكون من باب المجازة للرد على الشبهة، وإلا ففي الحقيقة تُعدُّ قناة فالوب والمبيض جزءاً من الرحم، والرحم في لغة العرب هو منبت الولد ووعاؤه<sup>(٨)</sup>، والقرآن الكريم خاطب العرب بما تفهمه من ألفاظها، فلا تتكلف التفصيل في مثل هذا الأمر. والفرق بين هذه الظلمات التي في البطن والظلمات التي ذكرها عدنان الشريف أن هذه بعضها فوق بعض، فكل ظلمة تحيط بالأخرى، والظلمات التي ذكرها ليست في مكان واحد بل واحدة في قناة الرحم، والثانية في تجويف الرحم، والثالثة داخل الغشاء المشيمي.

من الضوء، فعلى هذا يكون لكل غشاء ظلمة ولو كانت يسيره، كما هو الحال في السحاب الذي يحجب جزءاً من أشعة الشمس عن البحر، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ النور: ٤٠.

فالسحاب شارك في حجب جزء من نور الشمس<sup>(١)</sup> ولم يحدث ظلمة كاملة بل أحدث ظلاً خفيفاً، يعتبره الباحثون في التفسير العلمي حائلاً نسبياً لأشعة الشمس<sup>(٢)</sup>، مما يجعل السحب أحد الحوائل المسببة للظلمات الموجودة في أعماق البحار، والمذكورة في الآية الكريمة السابقة<sup>(٣)</sup>.

كيفية لا نعددها ظلمة هنا أي: في غشاء الجنين، ونعدها ظلمة هناك، أي: في السحاب.

#### وأما الرأي الثالث فيمكن أن يناقش بالآتي:

أولاً: استدلاله بالآية بأن الظلمات يجب أن تكون في البطن وليس في الرحم، فهو استدلال يمكن أن يعترض عليه؛ ذلك أن الرحم هو جزء من البطن وقد يُعبر بالكل ويراد الجزء، وإلا فما معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ النحل: ٧٨، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ النجم: ٣٢، وأليس المقصود بالبطن في الآيتين جزء منها وهو الرحم، وإذا كانت الظلمات تحيط بالجنين داخل الرحم فيصح التعبير بأن نقول هو محاط بالظلمات داخل البطن، ثم إن التعبير بلفظ البطن في لغة العرب هو أوسع من هذا الفهم، قال ابن منظور: «الْبَطْنُ مِنَ الْإِنْسَانِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَ: مَعْرُوفٌ خِلَافَ الظَّهْرِ»<sup>(٤)</sup>.

أما الحالات النادرة التي تحدث في أحشاء البطن وخارج الرحم فإن النادر لا حكم له فالحكم على الأشياء بالأعم الأكثر ولا حكم للشاذ النادر<sup>(٥)</sup>، فلا يلزم ذكرها في كتاب الله الذي نزل لهداية البشرية لا ليفصل للناس جميع العلوم، كما عُرف من ضوابط التفسير العلمي. ولكن يمكن أن يوجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾

(١) البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، ص (١١٠).

(٢) تقوم السحب بامتصاص جزء من الأشعة وتشتت جزء آخر والسماح بنفاد بقية الأشعة. [انظر: بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، ص ١١٧].

(٣) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (منهج التدريس الجامعي)، ص (٢١٦-٢٢٨).

(٤) لسان العرب، (٥٢/١٣).

(٥) تقرير القاعدة في: أحكام القرآن للجصاص، ١٣٢/٤، الأشباه والنظائر للسبكي، (١٣٦/٢).

(٦) شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان، (٨٣، ٨٢/٣).

(٧) المرجع السابق.

(٨) تهذيب اللغة، ٣٤/٥، لسان العرب، (٢٣٢/١٢)، التوقيف على مهمات التعاريف، ص (١٧٦).



المشيمة<sup>(٢)</sup>، حيث تُحدثُ كلُّ واحدة من هذه الحواجز ظلمة بالنسبة للجنين؛ فتكون بمجموعها ظلمات ثلاث.

### الحقيقة القرآنية هي الأصل الذي لا ريب فيه، وبقدر قرب الحقيقة العلمية منها يكون القرب من الصواب.

٢- أظهرت الحقائق العلمية سراً من أسرار الخلق، ومعجزة من معجزات القرآن الكريم؛ وذلك من خلال مشاهدة هذه الظلمات، ومعرفة الحكمة منها؛ إذ لا ينمو الجنين بصورة سليمة إلا في جوٍّ مظلم، ومعرفة هذه الحقيقة مما يزيد اليقين على أن هذا القرآن كلام الخالق سبحانه وتعالى والعالم بأسرار خلقه.

٣- يرى بعضهم استناداً إلى الحقيقة العلمية على أن الأغشية الثلاثة المحيطة بالجنين لا تحدث إلا ظلمة واحدة، فلا يصح إنزال الظلمات الثلاث عليها، ولكن يمكن اعتبارها ثلاث ظلمات إذا ثبت أن كل واحد منها يحدث ظلمة مستقلة ولو يسيرة، فيمكن أن تكون هذه الطبقات أو الأغشية الثلاثة أحد المعاني المحتملة للظلمات الثلاث، مع بقاء الرأي الأول هو الأقرب للصواب كونه الرأي الذي اتفق عليه المفسرون قديماً والباحثون المعاصرون حديثاً؛ ولأنه المتبادر إلى الذهن الذي يفهمه صاحب اللغة العربية بلا تكلف.

٤- أظهرت الحقائق العلمية أن هناك العديد من الحواجز أو التجاويف التي يمر بها الجنين وهي أماكن مظلمة بالنسبة للجنين<sup>(٣)</sup>، إلا أن إنزال معنى الآية عليها ليس فيه من الدلالة والوضوح كما هو في الرأي الأول؛ لأن هذه الظلمات ليست محيطة بالجنين على الدوام، بل في أماكن متفرقة، وهي تنشأ في الأسابيع الأولى فقط ثم تزول بزوال أسبابها، أما الظلمات التي في رأي الجمهور فهي دائمة في جميع أطوار الجنين ومحيطه به.

٥- يمكن للحقيقة العلمية أن تعطي مفهوماً أوسع للظلمات الثلاث إذ أن جدار البطن مكون من ثلاث طبقات، وجدار

- وأما استدلاله بقوله تعالى: «خُلِقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ» على أنها تضعنا في صورة تطويرية ديناميكية متحركة للمراحل

التي يمر بها الجنين داخل الظلمات الثلاث، بمعنى أنه ينتقل من ظلمة إلى ظلمة خلال تطوره، فهذا المعنى الذي ذهب إليه غير لازم؛ إذ أن تطوّر مراحل الجنين من «نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، حالاً بعد حال»<sup>(١)</sup>، هو أيضاً تنقل من مرحلة إلى أخرى وهو خلق من بعد خلق حتى لو كان الجنين في مكانه.

- وأما استدلاله بقوله تعالى: «فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» على أن التجارب التي تجرى على الرجال بزراع النطفة الملقحة في أحشاء الرجل هي تجارب لن تنجح لأنها تتعارض مع الآية الكريمة التي تجعل الحمل في بطون الأمهات، فهو من الخوض بالغيب الذي لا ينبغي الجزم به؛ لأن الآية تخبرنا عن أطوار خلق الإنسان التي تعد آية من آيات الله تعالى، ولا يعني نجاح زرع النطفة في أحشاء الرجل أن ذلك متعارض مع الآية؛ لأن ما يقوم به هؤلاء هو من العبث بخلق الله تعالى، ولا يعني ذلك أنهم خلقوا مخلوقاً جديداً، وإلا فليخلقوا نطفة من ذات أنفسهم، ولو افترضنا نجاح مثل هذه الحالة فلا يعد حملاً حقيقياً؛ لأن الرجل لا يمكن أن يحمل ويولد مثل المرأة تماماً، وليس في الآية ما يدل على المعنى الذي ذهب إليه.

ثم إن الله تعالى قد أخبرنا في كتابه أن الشيطان سيزين لهم ذلك وقد يمكنهم الله من هذا العبث ابتلاءً وتمحيصاً لهم كما حكى الله عز وجل عن الشيطان قوله: «وَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأْمَنَيْنَّهُمْ وَلَأْمَرْتَهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَأْمَرْتَهُمْ فَيَلْبَعِغْنَ خَلْقَ اللَّهِ» النساء: ١١٩، ومهما عبث بعض البشر بهذا وأمثاله فلن يشوش المفهوم العام للآية الكريمة، أو يؤثر على قداسة النص القرآني بشكل عام.

### المطلب السادس: أثر الحقائق العلمية:

يظهر أثر الحقائق العلمية من خلال الآتي:

١- أكدت الحقائق العلمية صحة ما ذهب إليه جمهور المفسرين في تفسيرهم للظلمات الثلاث: بظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة

(١) بحر العلوم، (١٧٠/٣).

(٢) زاد المسير، (١٦٣/٧).

(٣) من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن الكريم، ص (٨٢، ٨٣).

الجهل بالظلمة وعن الهداية بالنور، وهو تعبير معنوي لا حسي<sup>(٤)</sup>.  
٧- إن اكتشاف حقيقة علمية لها تعلق بأية قرآنية لا يعني ذلك أننا وصلنا إلى النتيجة النهائية لمعرفة المعنى المراد منها؛ فقد تختلف وجهات النظر في ربط هذه الحقيقة بالآية، لتبقى الحقيقة القرآنية هي الأصل الذي لا ريب فيه. وبقدر ما تقترب منها الحقيقة المكتشفة يكون القرب من الصواب، والله تعالى أعلم وأحكم.

#### والحمد لله رب العالمين

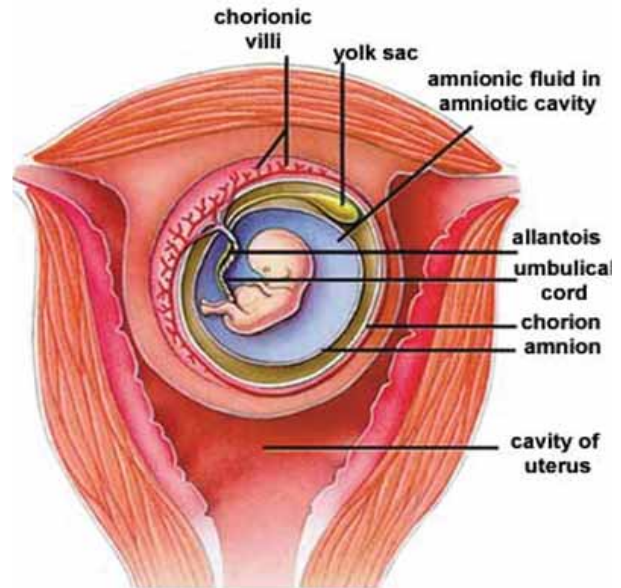
- (١) شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان، (٣ / ٨٢، ٨٣)، وانظر: الإعجاز القرآني في الخلق الإنساني - حيدر الجدي، ص (٨٧).  
(٢) وهذا الذي أكده لي الدكتور محمد البار في التسجيل الصوتي إجابة على سؤالي، ويين أن كل الاحتمالات صحيحة من الناحية الطبية.  
(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٢٦/٥)، برقم: (٢٦٤٢)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» وابن حبان في: صحيحه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب: التاريخ، باب: بدء الخلق، (٤٣/١٤)، برقم: (٦١٦٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، وقال عنه الألباني: «صحيح» مشكاة المصابيح، (٣٧/١)، برقم: ١٠١، وانظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، (٢٥/٩)، برقم: (٦١٣٦)، والسلسلة الصحيحة، (٣/٦٣، ١٠٧٤).  
(٤) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار - أبو بكر البخاري، ص (٩٦)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - أبو الحسن الهروي، (١٧٧/١)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - أبو الحسن المباركفوري، (١٩٠/١).

«الرحم وقناته مؤلفان من ثلاث طبقات من الخارج إلى الداخل، وأولها: طبقة البريتون التي تغطي جسم الرحم، وثانيها: الطبقة العضلية للرحم، وثالثها: الطبقة المخاطية وهي الغشاء المبطن للرحم»<sup>(١)</sup>، والأغشية المحيطة بالجنين كذلك ثلاثة، وعلى كل هذه الطبقات والأغشية يمكن أن تنزل الاحتمالات إذ لا تعارض فيما بينها، فالقرآن حمّال وجوه<sup>(٢)</sup>، ومعاني القرآن لا تنضب، ولا يمكن حصرها على فهم فرد أو طائفة؛ بل تتسع المعاني وتتجدد، وكل مفسريهم بما أعطاه الله من واسع فضله.

٦- إن معرفتنا لهذه الحقائق العلمية لا يعني الجزم بأن المعنى المراد من الآية هي هذه الظلمات فحسب، ولكن هذا هو التفسير العلمي المنطقي المقبول في ضوء هذه المعطيات العلمية، ومع هذا فقد يكون المراد بالظلمات أيضاً ظلمات معنوية، أو أنها - أي الظلمات الحسية - تدل على ظلمات معنوية يمر بها الجنين أثناء مراحل تخلقه، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ"<sup>(٣)</sup>.  
فقوله ﷺ: "خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ" أي: في جهالة عن معرفة الله، وقوله: "فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ" أي: هدى من شاء منهم، فعبر عن



الجنين داخل المشيمة



الحواجز المحيطة بالجنين من الأغشية وجدار الرحم والبطن  
(خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ٤٢١)

## R20 مجموعة تواصل الأديان الأولى ضمن مجموعة G20

تحول تاريخي في "مجموعة العشرين" (G20) التي تجمع قادة أكبر اقتصادات العالم، حيث اعتمدت رئاستها هذا العام تحويل منتدى الأديان التابع لها إلى قمة مجموعة تواصل الأديان (R20)

(R20)

تم اعتمادها رسميًا من رئاسة  
قمة العشرين في هذا العام  
(2022م)

هي مجموعة تواصل الأديان  
المشاركة لمجموعة العشرين

### تأسست بمبادرة ورئاسة من كل من:



معالي رئيس هيئة نهضة  
العلماء الهندونيسية  
و التي يتبعها  
120 مليون عضو  
الشيخ  
يحيى خليل ثقوف



معالي الأمين العام لرابطة  
العالم الإسلامي، رئيس  
هيئة علماء المسلمين  
الشيخ الدكتور محمد  
بن عبدالكريم العيسى

